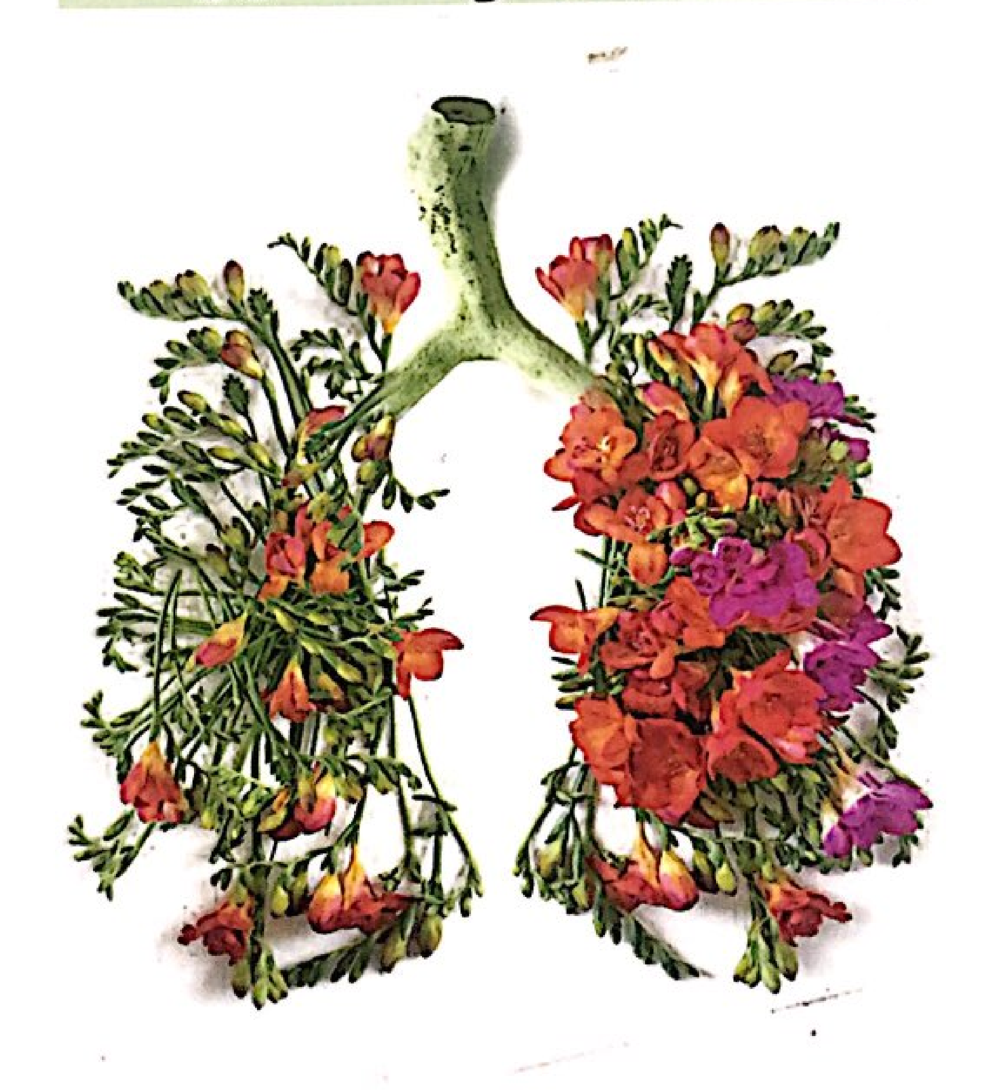
فهد العيد

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ

احذف اليأس من قائمة اختياراتك




KALEMAT

ألم نشرح لك صدرك

• ألم نشرح لك صدرك
• فهد العيد
• دار كلمات للنشر والتوزيع
دولة الكويت / محافظة العاصمة
تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤
تويتر : @Dar_kalemat
إنستجرام : Dar_kalemat
بريد إلكتروني :
Dar_Kalemat@hotmail.com
info@darkalemat.com
الموقع الإلكتروني :
http://www.darkalemat.com
إنستجرام وسناب: faleid
تويتر: Fahd_aleid

الردمك: 3 - 80 - 95 - 99966 - 978

ألم نشرح لك صدرك

فهد العيد

٢٠١٨



مقدمة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

اختار الله لنبيه محمد ﷺ أصحاباً كراماً بررة ، فأخذوا عنه الدين وبلغوه لمن بعدهم من الأجيال ، وزكاهم الله في كثير من آيات القرآن الكريم ، واستحقوا بذلك أن يكونوا أفضل جيل على الإطلاق ، وقد أمرنا باتباعهم والسير على نهجهم ، فهم أبر قلوباً وأعمق علماً وأقل تكلفاً ، والطعن فيهم طعن في الدين ، وتعظيمهم تعظيم للدين .

جيل الصحابة ، هذا الجيل الراقي رفيع المستوى ، الذي ما تكرر مثله في التاريخ ، فعظمة هذا الجيل وقيمته

تأتي من كون هذا الجيل يتصف بصفات معينة ، من سلامة العقيدة وكمال الأخلاق وأمانة النقل وصفاء القلب وقوة العزيمة وحب الجهاد ، فكان بأكمله جيلاً على هذه الدرجة الراقية من الأخلاق والصفات .

وفي هذا الكتاب نريد أن نتعلم كيف نقلد جيل الصحابة؟ كيف نكون كجيل الصحابة؟ كيف نسير في طريق التابعين الذين تعلموا على يد صحابة رسول الله؟ كيف نصل إلى ما وصل إليه ، سواء في الدنيا أو في الآخرة ، وكيف تدبروا القرآن وعملوا به ، هذا الجيل العظيم الجليل الفريد ، الذي كان وساماً حقيقياً على صدر البشرية ، أولئك الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة خاتم أنبيائه وأفضل رسله سيدنا محمد ﷺ ، فكانوا له نعم المعين على أمور الدعوة ، ونعم الجنود في كل الميادين ، فحملوا الرسالة من بعده كما ينبغي أن تحمل تماماً ، وما فرطوا وما بدلوا وما غيروا بل أناروا الأرض بنور الإسلام ، وروت دماؤهم أطراف المعمورة لتعبيد الناس لرب العالمين ، لا يريدون منهم جزاء ولا شكوراً ، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

كان الصحابة يعلمون أنه يجب عليهم سرعة التنفيذ لكل ما يأتيهم من عند الله ، فإن أتاهم أمر فعلوه ، وإن أتاهم نهى انتهوا ؛ لأنهم علموا أنهم ليس لهم الخيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمراً . هكذا كان منهجهم في التنفيذ والعمل ، فيجب على كل مسلم أن يكون صحابياً في عقيدته ، في إيمانه ، في أفكاره ، في فهمه لهذا الدين ، في طموحاته وأهدافه ، في حميته للإسلام ، في غيرته على حرمات المسلمين ، في التطبيق لكل صغيرة وكبيرة في هذا الدين .

ومن الممكن بل من اليسير أن نرى جيلاً صالحاً ذا صورة مشرقة مضيئة كما كان السلف الصالح ، فإن قرآن هذه الدعوة بين أيدينا ، كما كان بين أيدي ذلك الجيل الأول الذي لم يتكرر في التاريخ .

فإن السلف رضوان الله عليهم كانوا يستقون من نبع واحد هو كتاب الله وهدى رسول الله - ﷺ - على الرغم من وجود الينابيع الأخرى مثل الحضارات الرومانية والإغريقية والفارسية وحضارة الهند والصين .

ولذا فإنه لا بد من عودة المسلمين إلى مصدر الخير كله ، ومصدر العلوم كلها ، إلى القرآن والسنة . . .

حتى نصل إلى ذلك المستوى الفريد ، ولا بد أن تكون لدينا همّة عالية ونفوس كبيرة تحاول أن تقتفي ذلك الأثر وهذه الخطوات لعلنا نستطيع أن نكون أفراداً من ذلك الجيل ، فلا يُقفَل باب الأمل . . . ولا يُقفَل باب التنافس . . . ولا يُقفَل باب السعي للوصول إلى تحقيق ذلك الأفق إذا كانت لنا همّة عالية . . . وكانت لنا إرادة غالبة . . . وكان لنا حرص على بلوغ ذلك الأفق الرائع الذي وصل إليه هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . . .

يقول الدكتور راغب سرجاني في إحدى محاضراته «سلسلة كن صحابياً» :

قال لي أحد أصحابي شيئاً غريباً جداً قال : إنني كلما قرأت قصص الصحابة أو استمعت إليها أصابني اليأس والإحباط . فقلت : سبحان الله! هذا عكس المراد تماماً ، فنحن نقرأ سير الصحابة والصالحين لكي نتحمس للعمل ولكي ننشط عند الفتور .

ثم قلت له : لماذا تشعر بهذا الإحساس؟ قال : لأنني كلما قرأت عن الصحابة وجدت لهم أعمالاً يستحيل علينا فعلها ، ووجدت إصراراً على الجهاد ، ووجدت ثباتاً على الإيمان ،

ووجدت عزيمة على الصيام والقيام والبذل والعطاء ، ووجدت مواصلة لأعمال البر والخير ، ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً ، ليس هناك فرق بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ومرحلة الكهولة أو الشيخوخة ، فالجهد كله لله عز وجل ، والمال كله في سبيل الله ، والفكر كله في سبيل الله ، وتستطيع أن تقول : الحياة كلها في سبيل الله ، فعندما أجد ذلك أشعر بضعفي الشديد وبُعدي عن طريقهم ، فيسيطر عليَّ الإحباط واليأس . انتهى كلام الصاحبي هذا . فقلت له : والله أنا معك في نصف كلامك وأتفق معك فيه تماماً ، وأما النصف الثاني فأنا أختلف معك فيه اختلافاً جذرياً ، فكما تقول : إن الصحابة جيل فريد وحياة عجيبة وعطاء ما انقطع لحظة ؛ ولذلك فقيمته عالية وغالية جداً ، ويكفي أن تسمع إلى قول الله عز وجل وهو يقول في حق المهاجرين والأنصار : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١٠٠] ، وانتبه . .

فالله عز وجل لم يذكر شرط الإحسان في عمل الصحابة ،

وإنما شرط الإحسان في التابعين لهم ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة :١٠٠] ؛ لأن الصحابة كلهم قد عملوا بإحسان ، وهذا معلوم ضمناً من حال الصحابة ، فتأمل الدرجة كيف هي عالية وغالية عند الله سبحانه وتعالى وعند الرسول وعند كل المؤمنين ، وهذا هو الذي أتفق فيه معك ، لكن ما أختلف فيه معك هو الشعور بالإحباط واليأس عند سماع هذه الحكايات وعند قراءة هذه السيرة ، فبدلاً من الإحباط واليأس هناك شيء أفضل من ذلك ، ألا وهو أن نشغل أنفسنا بمعرفة كيف سبق السابقون؟ وكيف اللحاق بهم؟ .

الصحابة لم يخلقوا صحابة ، بل عاشوا قبل إيمانهم حياة بعيدة كل البعد عن مظاهر الإسلام أو الالتزام ، فمنهم من كان يعبد الحجر أو الشجر ، ومنهم من كان يسرق ، ومنهم من كان يشرب الخمر ، ومنهم من كان يئد البنات ، ثم عرض لهم طريق الخير وطريق الشر بوضوح ، وفي لحظة صدق اختاروا طريق الخير فصاروا صحابة ، بينما أناس كثيرون عاشوا معهم في نفس البلد والزمن والظروف ورأوا الرسول ﷺ لكنهم اختاروا طريق الشر فصاروا مشركين ومنافقين ويهوداً .

فالإنسان هو الذي يختار ، وليست عظمة الإنسان بكونه عاش في زمان معين أو بكونه صاحب مال أو سلطان أو جاه ، أو بكونه من سلالة فلان أو فلان ، لا ، إنما عظمة الإنسان الحقيقية تكون بقدر تعظيم هذا الدين وبقدر حب الله عز وجل في قلبه ، وبقدر قيمة الشرع في حياته .

نسأل الله عز وجل أن نكون منهم ، وأن يجمع بيننا وبين حبيبنا وقائدنا وقدوتنا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام . إن الله عز وجل على كل شيء قدير ، وأسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

البقرة

المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة أنها نزلت في صُهَيْب بْن سِنَان الرُّومِيّ - رضي الله عنه - ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ بِمَكَّة وَأَرَادَ الْهِجْرَة ليلحق بالنبي - عليه الصلاة والسلام - مَنَعَتهُ قريشٌ أَنْ يُهَاجِر بِمَالِه ، وَإِنْ أَحَبَّ فعليه أَنْ يَتَجَرَّد مِنْهُ وَيُهَاجِر ، ففَعَلَ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُمْ وَأَعْطَاهُمْ مَاله ؛ فَأَنْزَلَ اللَّه فِيهِ هَذِهِ الآيَة ، فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب - رضي الله عنه - ، وَجَمَاعَةٌ إِلَى طَرَف الْحَرَّة في المدينة النبوية ؛ فَقَالُوا لَهُ : رَبِحَ الْبَيْعُ . فَقَالَ : وَأَنْتُمْ فَلَا أَخْسَرَ اللَّهُ تِجَارَتكُمْ ، وَمَا ذَاكَ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ اللَّه أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَة . وَيُرْوَى أَنَّ رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ : «رَبِحَ الْبَيْعُ صُهَيْب» .

ولا يَمنعُ أنها نزلتْ فِي كَلّ مُجَاهِد فِي سَبِيل اللّه ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيل اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ .

فللهِ دَرُّك يا صهيب! شَرَى نفسَه طلباً لرضوان الله تعالى هكذا تكون التضحية ، وإلا فلا! هذا صُهيبٌ ، وهذا فِعلُه قد غَدَا قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ؛ فماذا قدّمنا نحن طلباً لمرضات الله سبحانه؟ وماذا بذلنا من أموالنا وأنفسنا وأوقاتنا لنصرة دين الله تعالى؟ اللهمّ استرنا ولا تفضحنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

النساء

العدل أساس الملك

غصبَ أحدُ الولاة رجلًا من العقلاء ضيعةً له ، فأتى إلى أبي جعفر المنصور شاكيًا . . .

وقال له : يا أمير المؤمنين أأذكرُ حاجتي أم أضرب لكَ قبلها مثلًا؟

فقال له أبو جعفر : بل اضربْ قبلها مثلًا!

فقال : إن الطفل الصغير إذا نابه أمر فزع إلى أمه ظنًا منه أن لا ناصر له غيرها ، فإذا ترعرع واشتدّ كان فزعه إلى أبيه ، لعلمه أنه أقوى ، فإذا بلغ وصار رجلًا فزع إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه ، فإن لم ينصفه فزع إلى السلطان لعلمه أنه أقوى من الوالي ، وقد نزلت بي نازلة . .

وليس أحد أقوى منكَ إلا الله ، فإن أنصفتني كان بها ، وإن لم تفعل رفعتُ أمري إلى الله!

فقال المنصور : بل ننصفك!

فكتب إلى الوالي كتابين : الأول يأمر فيه بردِّ الضيعة والثاني فيه عزل الوالي!

لقد رسخ الإسلام مبادئه العادلة منذ أن بدأ وأنزل الله ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ، ثم أنزل ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي أن ما أنزل الله هو العدل والحق ولأنَّ الله يحكم بين الناس بالعدل وليس بالتساوي ، لأنَّ العدل مبدأ أسمى من المساواة! ولننظر كيف كان النظام الإسلامي في العدل ونقارنه مع باقي النظم الأخرى .

جاءت مسابقة ركوب الخيل في مصر بعد الفتح ، كان الجو حاراً صحراوياً والرمال ملتهبة وتسابق الفتيان وكان من بين المتسابقين ابن حاكم مصر عمرو بن العاص وبعد عدة جولات فاز أحد الفتيان من الأقباط فنظر إليه ابن الحاكم وهو متعال ينظر لمن غلبه نظرة استكبار فمال على رأس القبطي فضربه بالسوط وقال له : أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟

فغضب الغلام وغضب أبوه وسافرا من مصر إلى المدينة المنورة يشكو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضياع العدل والحرية ضياع المساواة التي أقرها الإسلام .

ولّما وصل القبطي إلى المدينة وخاطب عمر رضي الله عنه في مجلسه وشكى إليه ابن حاكم مصر فتأثر الخليفة وهو الفاروق وغضب غضباً شديداً فكتب إلى والي مصر عمرو بن العاص رسالة مختصرة يقول فيها : إذا وصلك خطابي هذا فاحضر إليّ وأحضر ابنك معك .

فلما حضر عمرو بن العاص ومعه ولده إلى المدينة وعقد الخليفة محكمة بين الطرفين وكان هو القاضي والفاصل بينهما وعندما أيقن اعتداء ابن والي مصر على القبطي أخذ عمر بن الخطاب عصاه وأعطاها للغلام القبطي قائلاً له : اضرب ابن الأكرمين ، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له : أدِرها على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطان أبيه ، فقال القبطي : إنما ضربتُ مَن ضربني ، ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة : «يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»

إن أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات الأخرى أنها وضعت نظاماً قائماً قيماً يستمد تعاليمه من رب العالمين من سنة نبينا محمد ﷺ فهذه القيم لا تتغير ولا تخضع للأهواء البشرية أبداً ومن هذه القيم أنشأت المؤسسة القضائية الإسلامية التي جعلت العدل غايتها في التعامل مع الكل غنياً كان أو فقيراً ذليلاً أم عزيزاً ، فقد كان العدل مبدأ أساسياً قامت عليه الحضارة الإسلامية ومن هنا أدركت الأمة الإسلامية قيمة العدل وأهمية تطبيقه ولم يكن العدل يطبق بين المسلمين فقط بل كان بين الناس أجمعين فقال النبي ﷺ : (من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) .

ويُعَدُّ العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام ، وجعلها من مُقَوِّمَاتِ الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية ، حتى جعل القرآنُ إقامةَ القسط - أي العدل - بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها ، فقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد ٢٥) .

وإن هذه التربية الإسلامية القيمة هي من تجعل ضمير المسلم مرتاحاً منشرحاً حينما يعلم أنه لا يضيع حقه في أمة اتبعت نهج العدل في تعاملاتها فلا خوف من هذه الأمة فهي لا تفرق بين البشر في تعاملاتها .

وسوف نتناول قصة شخصية عظيمة مواقفها العظيمة التي يجب أن تدرس في مناهجنا ومدارسنا ومجالسنا لما لها من منفعة كبيرة في قضية العدل بين الناس مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم ومناصبهم .

القاضي شريح بن الحارث الكندي ، كان قاضي الكوفة لستين سنة ، قال فيه علي بن أبي طالب «هو أقضى العرب» عاش مائة وسبع سنين وتوفي سنة ٧٨ هجرية - وقيل ثمانين - وترك القضاء قبل موته بسنة واحدة ، فهو رجل يَمَنِيُّ الموطن ، كِنْديّ العشيرة ، قضى شطراً غير يسير من حياته في الجاهلية .

فلما أشرقت الجزيرة العربية بنور الهداية ، ونفذت أشعة الإسلام إلى أرض اليمن ، كان شريح من أوائل المؤمنين بالله ورسوله ، المستجيبين لدعوة الفضيلة والحق ، لقد عاش في الجاهلية ، وأسلم حينما جاء النبي بدعوته ،

ولكنه لم ينتقل من اليمن إلى المدينة إلا بعد أن توفى الله النبي عليه الصلاة والسلام ، إذاً ، هو ليس صحابياً ، ولكنه عاش الجاهلية وعاش الإسلام فيعد من التابعين ، وانتقل من حضرموت زمن الصديق وحدث عن كبار الصحابة .

أرسل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الوفود إلى الأمصار لدعوة الناس ويدعوهم لدين الله واتباع الهدى فأسلمت الأمصار والديار وأسلم القاضي شريح ودخل نور الإسلام قلبه ، فبدا يتوجه إلى التفكير الإسلامي ويجاهد للوصول لحقائق هذا الدين الجديد الذي اعتنقه والذي يرى أنه يصلح لضبط كل مناحي الحياة وبهذه الروح العالية التي كان قد بدأ بها عند دخوله في الإسلام وهو في عقده الرابع ، فبدأ مرحلة الإعداد لطلب العلم على يد معاذ بن جبل رضي الله عنه .

إن حياة شريح بعد إسلامه لابد وأن تكون قد تغيرت في تعامله في كل شيء سواء كانت في حياته أو عمله ، ولم يكن هذا التغيير الذي حدث إلا بسبب ما علمه شريح من مبادئ الإسلام التي تصلح علاقة الإنسان مع كل شيء حوله .

كـان إسـلامـه قـبل وفـاة النبي بخـمس سنوات ، لكن كلّما عزم أن يزوره انشغل ، حتّى فاتت الخمس سنوات فبدأ الرحلة ، فجاءه خبر وفاة رسول الله ، وقد فاتته رؤيته ، فقرّر طلب العلم وأن يجمع آيات القرآن المتعلّقة بالعدل .

من مواقف القاضي شريح:

من مواقف القاضي شريح أنه ابتاع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فرساً من رجل من الأعراب ، ونقده ثمن الفرس ، ثم امتطى صهوته ومشى به لكنه ما كاد يبتعد بالفرس قليلاً حتى ظهر فيه عطب عاقه عن مواصلة الجري ، فانثنى به عائداً من حيث انطلق .

وقال للرجل : خذ فرسك فإنه معطوب .

فقال الرجل : لا آخذه يا أمير المؤمنين ، وقد بعته لك سليماً صحيحاً .

فقال عمر : اجعل بيني وبينك حكماً .

قال الرجل : يحكم بيننا شريح ابن الحارث الكندي .

فقال عمر : رضيت به .

احتكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصاحب الفرس

إلى شريح القاضي ، فلما سمع شريح مقالة الأعرابي التفت إلى عمر بن الخطاب وقال : يا أمير المؤمنين ، هل أخذت الفرس سليماً؟

فقال عمر : نعم .

قال شريح : احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين ، أو ردَّ كما أخذت .

نظر عمرُ إلى شريح معجباً! وقال : وهل القضاء إلا هكذا؟ ، أيمكن أن يكون القاضي غير ذلك ، هكذا القضاء ؛ قول فصل ، وحكم عدل سِرْ إلى الكوفة فقد ولّيتك قضاءها ؛ لأنه حَكَمَ عليه ، وأُعجِب بهذه النزاهة وبهذه الجرأة ، وأوصاه سيدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رسالة جاء فيها «إذا أتاك أمر في كتاب الله ، فاقض بهِ ، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله فاقض به فإن لم يكن فيهما فاقض بما قضى به أئمة الهدى فإن لم يكن فأنت بالخيار إن شئت تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرني ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلمُ لك» .

قضى القاضي شريح بين المسلمين أكثر من ستين عاماً ، ويكاد يكون هذا الاسم من الأسماء المتألقة في سماء

القضاء الإسلامي ؛ لشدة ورعه وحرصه على إنفاذ أمر الله ، وتوخّيه العدالة التامة ، فقد تعَاقَبَ على إقراره على منصبه كل من عمرَ بن الخطاب وعثمانَ بن عفان وعليٍّ بن أبي طالب ومعاويةَ بن أبي سفيان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، كلٌّ هؤلاء الخلفاء أقرُّوه في منصبه .

مواقف القاضي شريح:

ومن مواقفه أيضاً أن علي بن أبي طالب ﵁ افتقد درعاً عنده كانت أثيرة غالية عليه ، وما لبث إلا أن وجد هذه الدرع في يد رجل من أهل الكتاب يبيعها في سوق الكوفة ، فلما رآها عرفها .

وقال : (هذه درعي سقطت عن جمل لي في ليلة كذا وفي مكان كذا ، فقال الذمي : بل هي درعي ، وفي يدي يا أمير المؤمنين ، فقال عليٌّ ﵁ : إنما هي درعي لم أبعها لأحد حتى تصير إليك .

فقال الذمي : بيني وبينك قاضي المسلمين .

فقال علي : أنصفت ، فَهَلُمَّ إليه .

ثم ذهبا إلى شريح القاضي . .

فلما صارا عنده في مجلس القضاء ، قال شريح لعلي رضي الله عنه : ما تقول يا أمير المؤمنين؟

قال : لقد وجدت درعي هذه مع هذا الرجل ، وقد سقطتْ مني في ليلة كذا وفي مكان كذا ، وهي لم تصل إليه لا ببيع ولا بهبة .

قال شريح للذمي : وما تقول أنت أيها الرجل؟

فقال : الدرع درعي ، وهي في يدي .

كونها في يدي معناها درعي ، ولا أتهم أمير المؤمنين بالكذب ، لكنها درعي .

فالتفت شريح إلى عليّ كرم الله وجهه ، وقال : لا ريب عندي بأنك صادق يا أمير المؤمنين .

أمير المؤمنين ، صحابي جليل وابن عم رسول الله ومع ذلك قال له شريح : لكن لا بدّ لك من شاهدين يشهدان على صحة ما ادّعيت .

فقال علي : نعم ، مولاي قنبر وولدي الحسن يشهدان لي .

فقال شريح : ولكن شهادة الابن لأبيه لا تجوز يا أمير المؤمنين .

فقال علي : يا سبحان الله! رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته! أما سمعت أن رسول الله ﷺ قال :

((الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))

قال شريح : بلى يا أمير المؤمنين ، غير أني لا أجيز شهادة الولد لوالده .

عند ذلك التفتَ عليٌّ إلى الذميِّ ، وقال : خذها فليس عندي شاهد غيرهما .

فقال الذمي : ولكني أشهد بأن الدرع لك يا أمير المؤمنين ، ثم أردف قائلاً : أمير المؤمنين ، يقاضيني أمام قاضيه وقاضيه يقضي لي عليه ، أشهد أن هذا الدين الذي يأمر بهذا لحقٌّ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأسلم .

شيء لا يُصدق ، أمير المؤمنين والدرع درعه والقاضي من جماعته ، ويشدد هذا القاضي في الإجراءات التامة لتأخذ العدالة مجراها ،

وقال هذا الذمي : اعلمْ أيها القاضي أن الدرعَ درعُ أمير المؤمنين وأني اتبعتُ الجيشَ وهو مُتَّجهٌ إلى صفين ، فسقطتْ الدرعُ عن جمله الأورق ، فأخذتها .

فقال له عليٌّ رضي الله عنه : أما وأنك قد أسلمت فإني قد وهبتها لك ، ووهبت لك معها هذا الفرس أيضاً) .

ومن مواقفه أيضاً :

قال له ابنه يوماً : (يا أبت ، إن بيني وبين قوم خصومة ، فانظر فيها ، فإنْ كان الحقُّ لي قاضيتُهم ، وإنْ كان لهم صالحتُهم سلفاً .

أراد ابن شريح أن يعرِض على والده قضيةً بين ابنه وبين أشخاص في خصومة ، ثم قصّ عليه قصّته ،

قال : انطلق فقاضِهم .

ما معنى ذلك؟ معناه أن الحق لا بنه!!

فمضى إلى خصومه ودعاهم إلى المقاضاة فاستجابوا له ، فلمّا مثلوا بين يدي شريح قضى لهم على ولده ، فلما رجع شريح وابنه إلى البيت قال الابن لأبيه : فضحتني يا أبت ، واللهِ لو لم أستشرك من قبل لما لُمْتُك .

أنا استشرتك ، إذا كان الحقُّ عليَّ صالحتُهم ، وإذا كان الحق معي أقاضيهم .

فقال شريح : يا بني ، والله لأنتَ أحبُّ إليّ من ملء الأرض من أمثالهم ، ولكن الله عز وجل أعزُّ عليَّ منك .

أخبرك بأن الحق لهم فتصالحهم صلحاً يفوت عليهم بعض حقهم ، فقلت لك ما قلت) .

فالعدالة المطلقة شيء لا يُقدر بثمن .

عاش هذا القاضي سبع سنوات بعد المائة الأولى للهجرة حياة مديدة رشيدة ، حافلة بالمفاخر والمآسي ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًا قَالَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ، قَالَ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ)) .

مكث في قضاء الكوفة - ابتداء من عمره كان في الـ٤٧ - لمدة ٦٠ سنة هناك حتى سن الـ١٠٧ .

كان فريداً في أنه كتب فوق مجلسه :

«إنّ الظالم وإنْ حكمت له ينتظر العقاب . وإنّ المظلوم وإنْ حكمت عليه ينتظر الإنصاف» .

وتحت ذلك حديث نبوي :

«إنّكم تختصمون إليّ وإنّما أنا بشر فأيّما رجل اقتطعت له حقّ من أخيه لا يستحقّه فإنّما اقتطعت له قطعة من النّار سيطوّق بها يوم القيامة» .

قال الشعبي : كنت جالساً عند شريح القاضي إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاءً شديداً ، فقلت : أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة مأخوذاً حقها قال : وما علمك؟ قلت : لشدة بكائها وكثرة دموعها .

قال : لا تفعل إلا بعد أن تتبيّن أمرها ، فإن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون .

وفي سنّ الـ١٠٧ ، ولما أصبح الحجاج بن يوسف والي الكوفة ، استقال شريح وكانت أول مرة يفعلها بعد أن قضى في عهد خمسة خلفاء .

هذا غيض من فيض عن التاريخ الذهبي في القضاء الإسلامي ، ولا تستغرب من هذا الجيل الذي تربّى تحت قيادة خاتم الأنبياء الذي كان يوجه أصحابه بلسانه وأفعاله ، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثالًا للعدل ، يعطي كل ذي حقٍ حقه ، ولا يتوانى في ذلك ، حتى يؤدي كافة الحقوق إلى أصحابها .

ومثال على عدل النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ما حدث مع أحد الصحابة الكرام رضوان الله عليه في غزوة بدر ، وقد كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم

حبًا جمًا ، حتى إنه أراد أن يكون آخر عهده من الدنيا أن يعانق جسده جسد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد كان النبي يوم بدر يمر على صفوف الجند ليتفقدهم وكان بيده الشريفة قضيب من سواك يعدّل به الصفوف ، فمر بهذا الصحابي وهو خارج قليلاً عن الصف ، فحركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعود السواك إلى الخلف ليساوي الصف ، وقال له : «استوِ» ، حينها وجد هذا الصحابي الكريم الفرصة سانحة ليفوز بفوز عظيم ، فاستغل الموقف وقال : «آآآآه . . أوجعتني يا رسول الله ، وقد بعثك الله بالحق ، فأقدني» فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنه .

ثم قال له : «استقد - اقتص» ، حينها انكب هذا الصحابي ، فاعتنق النبي ﷺ وقبّل بطنه الشريف .

إنه الصحابي الكريم (سواد بن غزية) حليف بني عدي بن النجار رضي الله عنه وعندما قام بهذا الفعل تعجب الصحابة الكرام ، وسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : ما حملك على هذا يا سواد؟

فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمن القتل ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك .

فدعا له رسول الله بالخير ، وقال له خيرًا .

فعود السواك الذي ساوى به النبي الصفوف لم يؤلم سيدنا سواد بن غزية ، ولكنة أراد أن يغنم بملامسة جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يعانقه قبل الذهاب للمعركة .

كانت هذه قصة القاضي شريح الذي شغل منصب القضاء ستين عاماً ، ملأ أيام قضائه عدالة وإنصافاً ونزاهة وفخراً .

فتذكر دائماً «أنت قاضٍ دائماً ، قاضٍ بين أبنائك وقاضٍ بين أهلك وقاضٍ في تعاملاتك مع الناس وقاضٍ في نفسك ، فالإنصاف شريعة المسلم وخطه الذي لا يعوج» .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

الليل

كان أبو بكر الصديق يعتق على الإسلام في مكة . بمعنى أنه إذا أسلم الرجل ، أو المرأة اشتراه من صاحبه وأعتقه . فكان يعتق الفقراء والعجائز والنساء إذا أسلم ، ويعتقهم لوجه الله سبحانه وتعالى ، فقال أبوه : أي بني أراك تعتق أناسًا ضعافًا .

فلو أنك اشتريت رجالًا أقوياء أشداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟ وقد كان أبو بكر الصديق في حاجة إلى ذلك ؛ لأن قبيلته قبيلة تيم كانت ضعيفة وصغيرة . فقال أبو بكر الصديق : يا أبتِ ، إنما أريد ما أريد ، بمعنى يا أبت أنا أريد ما عند الله . فنزل فيه قول الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ .

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإرضاه دافع وبذل وضحى ودفع من ماله ونفع الإسلام

حتى أن النبي ﷺ قال : ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبوبكر وقال :

هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله .

اجعل من بعد سماعك لهذه الآية نيّة خالصة لوجه الله ،

قم من أجل الله

صم من أجل الله

تصدق من أجل الله

اعمل وليس لديك هدف إلا مرضاة الله ، اجعل شعارك في هذه الدنيا

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْــــرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَــانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْــرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْــرَمُ * الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَــانَ مَــا لَمْ يَعْلَمْ﴾

العلق

شعار الأمة

يقول الدكتور راغب سرجاني : «القرآن الكريم يوجد به أكثر من ستة آلاف آية ، من كل هذه الآيات اختار ربنا سبحانه وتعالى أن يكون مفتاح هذا الدين والبداية والأساس الذي تُبنى عليه الأمة هذه الآيات الخمس ، تكررت في هذه الآيات الخمس كلمة العلم بمشتقاتها ثلاث مرات ، وتكررت كلمة القراءة مرتين ، وجاءت كلمة القلم مرة ، كل هذا في خمس آيات قصيرة .

ألا يُعطي لنا هذا التركيز انطباعاً؟ أليس من المحرج جداً لهذه الأمة أن تكون في ذيل المتعلمين والعلماء في العالم الآن ،

وهي التي افتُتح دستورها بهذه الآيات الخمس؟! هذا أمر يحتاج إلى وقفة حقيقية ، وغريب أن تنزل هذه الآيات الخمس أول ما تنزل على رسولنا ﷺ وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يقرأ ولم يكتب طيلة حياته ، والله عز وجل يعلم ذلك تماماً ، ومع ذلك نزلت الآيات لتلفت الأنظار إلى أهم ما في هذا الدين وهو العلم ، في الحقيقة هذا أهم ما في هذا الدين» .

ولو قمنا بعمل إحصائية لكلمة «العلم» بمشتقاتها في القرآن الكريم لوجدنا كلمة العلم هي أكثر كلمة جاءت في كتاب الله عز وجل بعد لفظ الجلالة ، حيث ذكرت كلمة العلم بمشتقاتها في القرآن الكريم (٧٧٩) مرة بالضبط .

إن همسة الغار التي اختارها الله لتكون أول ما يوحى وأول ما يفرض إنها كلمة «اقرأ» شعار أمة الإسلام التي تعني القراءة والتعلم في شتى العلوم الشرعية من علوم فقه وحديث وعقيدة وأخلاق وما إلى ذلك من أمور الدين ، والعلوم الحياتية كالطب والفلك والهندسة والصناعة والزراعة والجغرافيا والعلوم النووية وما إلى ذلك من علوم تحتاجها الأمة بل وتحتاجها البشرية بصفة عامة .

لقد اهتم الإسلام بالعلم والتعلم وهنا سوف نتحدث عن شخصية إسلامية عظيمة في عطائها وهو زيد بن ثابت ﷺ وأرضاه ولعلنا في أمس الحاجة إليها .

زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري صحابي جليل وكاتب الوحي ، شيخ المقرئين ، مفتي المدينة ، روى الحديث عن النبي وقرأ عليه القرآن ، أسلم مع أهله يوم قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو لا يتجاوز الثالثة عشرة سنة وقد كان يتيماً .

في مدينة رسول الله ﷺ ، كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله يستعدون لمعركة بدر ، والمؤمن دائماً صاحب همّةٍ عاليةٍ ، ينشط لطاعة الله عز وجل ، و يسخر كل طاقاته الفكرية والمادية وخبراته في سبيل الله ، والصحابة الكرام في عهد رسول الله ﷺ لا شيء يشغلهم إلا الإقبال على الله وطاعة الله وخدمة الخلق والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ، فحق للصحابة أن يرضى الله عنهم ؛ لأن أمر الله عندهم عظيم ، ودعوة النبي عليه الصلاة والسلام إلى الجهاد ملأت قلوبهم ؛ لذلك كانت المدينة تستعد لمعركة بدر ، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يلقي النظرات

الأخيرة على أول جيش يتحرك تحت قيادته للجهاد في سبيل الله ، وتثبيت كلمته في الأرض بعد أن أتّم تأسيس دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وبعد أن تجهز الجيش للسير إلى بدر لمواجهة قريش المشركة الكافرة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يتفقد الجيش قبل أن يعطي أمراً بالتقدم .

وهنا أقبل على الصفوف غلامٌ صغير اشتاقت نفسه للجهاد في سبيل الله وهو لا يزال صغيراً ، تقوده أمه النوار بنت مالك وفي يده سيف يساويه في الطول تماماً ، أو يزيد عنه قليلاً ، ودنا من النبي ﷺ .

وقال : «جُعلت فداك يا رسول الله ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله تحت رايتك» فنظر النبي عليه الصلاة والسلام إليه نظرة سرور وإعجاب ، وربَّت على كتفه بلطف وود وطيَّب خاطره وصرفه لصغر سنه هو وخمسة من الأشبال ، الذين بذلوا جهدهم بالرجاء والدمع واستعراض العضلات ، لكن أعمارهم صغيرة وأجسامهم غضة .

عاد الغلام الصغير يجر سيفه حزيناً يبكي حباً واشتياقاً للجهاد ؛ لأنه حرم شرف صحبة رسول الله ، وعادت من ورائه أمه وهي لا تقل عنه أسىً وحزناً ، والنساء في ذلك

الزمان كنّ بطلات ، فقد كانت المرأة في ذلك الزمان ترجو الله أن يكون ابنها في عداد المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ، وقد كانت المرأة تفخر إذا قيل لها إن ابنها استشهد في سبيل الله .

حزن هذا الغلام حينما أخفق في أن يحظى بالجهاد تحت راية الإسلام وتحت قيادة رسول الله لصغر سنه ، ولكن الصادق مع نفسه لا ييأس وإذا أغلق أمامه باب فُتحت له أبواب أخرى ، فعندما لا يتاح الجهاد للمسلم في وقت من الأوقات فهناك جهاد النفس والهوى ، هناك جهاد التعلم والتعليم ، هناك جهاد الدعوة إلى الله ، هناك جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هناك جهاد تهذيب النفس ، هناك جهاد البذل ، بذل المال وهو شقيق الروح ، هناك أنواع منوعة من الجهاد .

وهنا فطن الغلام الأنصاري أن هناك جهاداً آخر لا علاقة له بالسن ، يقربه من النبي ﷺ ويدنيه إليه ، وهو جهاد العلم والحفظ ، انظر إلى همّة هذا الغلام الصغير حينما لم يسمح له النبي عليه الصلاة والسلام أن يجاهد بجسمه فبحث عن جهاد آخر فسخّر نفسه للجهاد بالعلم والحفظ ،

فذكر الغلام الفكرة لأمّه ، ففرحت وسعت لتحقيقها ، فحدثت النوار بنت مالك أم الغلام رجالاً من قومهم برغبة الغلام وذكرت لهم فكرته ، وأنه يستطيع أن يخدم رسول الله ﷺ والإسلام بالعلم الذي يحفظه ، ويستطيع أن يقرأ ويكتبَ ويحفظَ القرآن ويقرأه كما أنزل على رسول الله ﷺ ، وأن يعرضوا هذه الإمكانيات على الرسول ﷺ فقد يستغلّها . انظروا إلى الأم الفاهمة الواعية .

فمضوا به إلى النبي ﷺ وقالوا : «يا نبي الله ، هذا ابننا زيد بن ثابت ، يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك ، وهو فوق ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة ، وهو يريد أن يتقرب إليك وأن يلزمك فاسمع منه إذا شئت» ، فسمع منه ﷺ واختبره ، فقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه أمامه القرآن وأحسن القراءة ، وهو أيضاً يكتب ، وهذا نادر في هذه البيئة التي كانت تجهل القراءة والكتابة ،

فقال له : اذهب وتعلم لغة اليهود ؛ فإني لا آمنهم على كتابي ، وذهب زيد بن ثابت وأكب على العبرية حتى

حذقها في وقت يسير ، فتعلم اللغة العبرية في سبع عشرة ليلة ، وجعل يكتبها للنبي عليه الصلاة والسلام كلها إذا أراد أن يكتب لليهود ، ويقرأها له إذا هم كتبوا إليه ، فصارت له قيمة عند رسول الله ، ووجهه رسول الله ﷺ لتعلم السريانية فتعلمها بسبعة عشر يوماً فقط ، وصار ترجمان النبي عليه الصلاة والسلام ومستشارًا في اللغة العبرية والسريانية .

ولما استوثق النبي صلوات الله وسلامه عليه من رصانة زيد وأمانته ودقته وفهمه ائتمنه على رسالة السماء وجعله كاتباً للوحي ، شرف عظيم ، فكان إذا نزل شيء من كتاب الله على قلب النبي عليه الصلاة والسلام بعث إليه يدعوه .

وفي سنة إحدى عشرة من الهجرة ، توفي الرسول عليه الصلاة والسلام وشُغِل المسلمون بحروب الردّة ، وفي معركة اليمامة كان عدد الشهداء من حفظة القرآن كبيراً ، ولم يكن القرآن مجموعاً في مصحف بل كان مبثوثاً في صدور الصحابة ، ومفرقاً في صحائف عند هذا الصحابي أو ذاك ، فما أن هدأت نار الفتنة حتى فزع عمر بن الخطاب إلى الخليفة أبي بكر الصديق راغباً في أن يجمع القرآن قبل أن يدرك الموت والشهادة بقية القراء والحفاظ . واستخار الخليفة ربه ،

وشاور صحبه لينظر من يصلح لحمل هذه الأمانة العظيمة وتأدية هذا العمل الجلل ؛ من عنده همة الشباب وجلد الفتوة ورجاحة العقل ورسوخ العلم ، فما وجد خيراً من ذلك الشاب الذي كان يأمنه ﷺ على كتابة الوحي ، ومكاتبة الملوك والأمراء ، ويشهد بعلمه وفضله القاصي والداني ، حتى قال فيه ابن عباس : «لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيداً بن ثابت كان من الراسخين في العلم» ثم دعا أبو بكر زيد بن ثابت وقال له : «إنك شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتَتَبَّع القرآنَ فاجْمَعْهُ» .

وأوكل الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه لزيد بن ثابت مهمة جمع القرآن ، وكان عمره حينها ثلاثاً وعشرين سنة ، وأوكلت إليه مهمة من أثقل المهام في تاريخ البشرية جمعاء ، إنها مهمة جمع كتاب الله عز وجل ليحفظ إلى يوم القيامة ، ونهض زيد بالمهمة وأبلى بلاء عظيماً فيها ، يقابل ويعارض ويتحرى مكانه .

وقال زيد وهو يصوّر الصعوبة الكبرى التي شكلتها قداسة المهمة وجلالها :

«والله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن» .

فلأن يحمل زيد فوق كاهله جبلاً أو جبالاً أرضى لنفسه من أن يخطأ أدنى خطأ في نقل آية أو إتمام سورة .

وكما قال رضي الله عنه : «فكنتُ أتبع القرآن أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال» .

وأنجز المهمة وجمع القرآن في أكثر من مصحف ، فنجح في مهمته وأنجز على خير وجه مسؤوليته وواجبه .

كانت هذه هي المرحلة الأولى في جمع القرآن ، وجمع هذه المرة مكتوباً في أكثر من مصحف .

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه ، والمسلمون يواصلون فتوحاتهم وزحوفهم مبتعدين عن المدينة مغتربين عنها ، وفي تلك الأيام والإسلام يستقبل كل يوم أفواجاً تلو أفواج من الداخلين فيه المبايعين إيّاه ظهر جليّاً ما يمكن أن يفضي إليه تعدد المصاحف من خطر حين بدأت الألسنة تختلف على القرآن حتى بين الصحابة الأقدمين والأولين ، وهنالك تقدم إلى الخليفة عثمان فريق من الأصحاب رضي اللّه عنهم على رأسهم حذيفة بن اليمان مفسرين الضرورة

التي تحتم توحيد المصحف ، واستخار الخليفة ربه وشاور صحبه .

وكما استنجد أبو بكر الصديق من قبل بزيد بن ثابت استنجد به عثمان أيضاً ، فجمع زيد أصحابه وأعوانه ، وجاؤوا بالمصاحف من بيت حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، وكانت محفوظة لديها ، وباشر هو وصحبه مهمتهم العظيمة الجليلة ، كان كل الذين يعينون زيداً من كتاب الوحي ومن حفظة القرآن ، ومع هذا فما كانوا يختلفون وقلّما كانوا يختلفون إلا جعلوا رأي زيد وكلمته هي الحجة والفيصل .

أصبح سيدنا زيد بن ثابت المرجع الأول لكتاب الله ولأمة محمد ﷺ ، فكان رضي الله عنه رأس من جمعوا كتاب الله في عهد الصديق ، وطليعة من وحدوا مصاحفه في زمن عثمان ، أفبَعدَ هذه المنزلة منزلة تسمو إليها الهمم؟ وهل فوق هذا المجد مجد تطمح إليه النفوس؟

كل واحد فينا وفي أي بلد في العالم وفي أي زمن من الأزمان يقرأ في كتاب ربنا سبحانه وتعالى يعطي زيداً أجراً ، دون أن ينقص من أجورنا شيئاً إن شاء الله ، فهذا عمل أفاد الأمة الإسلامية ، وهو من جانب العلم وليس من

جانب الجهاد كما ذكرنا . يقول الحسن البصري كلمة عجيبة جداً يقول : يوم القيامة يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء .

ولهذا الصحابي الجليل موقف لا يُنسى يوم السقيفة ، ففي يوم السقيفة اختلف المسلمون فيمن يخلف رسول الله ﷺ .

فقال المهاجرون :

فينا خلافة رسول الله ونحن بها أولى .

وقال بعض الأنصار : بل تكون الخلافة فينا ونحن بها أجدر .

ولكن زيداً بن ثابت كاتب الوحي قال رأياً سديداً جعل الناس جميعاً ترضى بحكمه ، قال : «إن رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره ، وإني أرى أن يكون الإمام من المهاجرين ونحن نكون أيضاً أنصاره» .

وصار سيدنا زيد مع فقهه وعلمه وطول ملازمته للنبي عليه الصلاة والسلام منارة للمسلمين ، يستشيره خلفاؤه في المعضلات ، ويستفتيه عامتهم في المشكلات ، فقد خطب عمر رضوان الله عليه في المسلمين يوم الجابية ،

فقال : «أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسألَ عنِ المال فليأت إليَّ ، فإن الله عز وجل جعلني عليه والياً ، وله قاسماً» .

وطلاب العلم من الصحابة والتابعين عرفوا قدر زيد فأجلوه وعظموه لما وقر في صدره من العلم .

استمعوا لهذه الوقفة : بحر العلم سيدنا عبد الله بن عباس ، يرى زيد بن ثابت قد هم لركوب دابته ، فيقف بين يديه ويمسك له بركابه ، ويأخذ بزمام دابته ، فيقول له زيد بن ثابت : «دع عنك يا ابن عم رسول الله» .

فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال له زيد : أرني يدك ، فخرج ابن عباس يده ، فمال عليها زيد وقبَّلها ،

وقال : وهكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا .

لما لحق زيد بن ثابت بجوار ربه سنة ٤٥ هـ في عهد معاوية . وبكى المسلمون بموت العلم الذي ووريَ معه ، فقال أبو هريرة :

«اليوم مات حبرُ هذه الأمة ، وعسى أن يجعل الله في ابن عباس خلفًا له» .

فلله دره! ما أروع ما أنجز! وما أعظم ما قدم للأمة إلى قيام الساعة!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾

البينة

هذه السورة العظيمة لها قصة عظيمة جاء النبي ﷺ إلى أبي ابن كعب سيد القراء ومن عرف بالقرآن فقال له النبي ﷺ : يا أبي إن الله قد أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَعَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، فقال أبي ابن كعب رضي الله عنه وأرضاه في نشوة غامرة بأبي وأمي أنت يارسول الله ، الله سماني لك؟

فقال له النبي نعم ، فأخذ يبكي من شدة الفرح .

هذه هي الشهرة الحقيقية ، يوم أن تعرف في السماء ، إذا أردت أن تكون ممن يذكره الله في السماء فكن ممن يذكره الله عز وجل في هذه الأرض ، قال الله سبحانه في كتابه الكريم :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

البقرة : ٢٦١

تطهير للمال والبدن

روى البخاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال :

قال رجلٌ لأتصدّقنَّ بصدقةٍ ، فخرج بصدقتِه

فوضعها في يدِ سارقٍ

فأصبحُوا يتحدَّثون ، تُصدِّق على سارق!

فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدّقنَّ بصدقةٍ

فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانيةٍ

فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّق الليلة على زانية!

فقال : اللهم لكَ الحمد ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ

فخرج بصدقتِه فوضعها في يدي غنِيٍّ

فأصبحوا يتحدَّثون : تُصدِّقَ على غنيٍّ!

فقال : اللهم لك الحمد ، على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غنيٍّ!

فأُتيَ ، فقيل له :

أمّا صدقتكَ على سارقٍ فلعله أن يستعفَّ عن سرقته

وأما الزَّانيةُ فلعلها أن تستعفَّ عن زناها

وأما الغنيُّ فلعله يعتبرُ فينفقُ مما أعطاه الله!

لو يعلم الناس قدر الصدقة عند الله لأنفقوا كل أموالهم في سبيله سبحانه! وفي الوقت الذي جعل الله فيه الحسنة بعشرة أمثالها جعل أجر الصدقة سبعمائة ضعف أو يزيد ، والصّدقة ترفع صاحبها إلى أعلى المراتب ، فلا شكّ أنّ من يتخلّق بهذا الخلق العظيم ، وآثر أخاه على نفسه ، وأحبّ لغيره ما يحبّ لولده وزوجه ، فسيُكْرم ويتصدّق ولا يبالي بإنفاق المال ، طالما أنّه أخرجه في سبيل الله تعالى ، وتعريف الصَّدَقة لُغةً : هي ما يُعطى للفقير ونحوه ، من مالٍ أو طعامٍ أو لباسٍ على وجه التقرّب إلى الله تعالى ، وليس على سبيل المكرُمة ، وتعريف الصَّدَقة اصطلاحاً :

هي العطيّة التي يُبتغى بها الثواب من الله تعالى ، فهي إخراج المال تقرُّباً إلى الله سبحانه وتعالى .

وحياة الصحابة الكرام بها الكثير من مواقف العطاء والتصدق ، وانظر كيف كان بذلهم للمال في سبيل الله عز وجل ، فيقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه : (لما نزل قول الله عز وجل : مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ، سمع أبو الدحداح الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه هذه الآية وكأنها وقعت في قلبه لا في أذنه ، فأسرع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله! وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟

قال : نعم يا أبا الدحداح!

فقال : (أرني يدك يا رسول الله! قال - عبد الله بن مسعود راوي الحديث- : فناوله يده ، قال أبو الدحداح : فإني أقرضت ربي حائطي) .

فقد كانت لديه حديقة كبيرة ، فتصدق بها كلها ، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه : وحائطه فيه ستمائة نخلة . ففي لحظة واحدة سمع آية واحدة من آيات الله عز وجل فدفع ستمائة نخلة ، (وأم الدحداح فيه وعيالها) ،

أي : ما زالت أم الدحداح ساكنة داخل الحائط ، وكذلك أبناء أبي الدحداح جالسين داخل الحائط ، فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح! قالت : لبيك! قال : اخرجي من الحائط ؛ فإني أقرضته ربي عز وجل .

وهذه قصة أخرى من عطاء الصحابة :

جاء الناس إلى أبو بكر وقالوا : يا خليفة رسول الله ، إنّ السّماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، وقد أدرك الناس الهلاك ، فماذا نفعل؟

قال أبو بكر رضي الله عنه انصرفوا واصبروا ، فإني أرجو ألاّ يأتي المساء حتّى يفرج الله عنكم .

وفي آخر النهار جاء الخبر بأنّ قافلة جمال لعثمان بن عفّان رضي الله عنه قد أتت من الشّام إلى المدينة ، فلمّا وصلت خرج النّاس يستقبلونها ، فإذا هي ألف جمل محملة سمناً وزيتاً ودقيقاً ، وتوقّفت عند باب عثمان رضي الله عنه ، فلمّا أنزلت أحمالها في داره جاء التجار ، قال لهم عثمان رضي الله عنه : ماذا تريدون؟ أجاب التجار : إنّك تعلم ما نريد ، بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنّك تعرف حاجة النّاس إليه .

قال عثمان : كم أربح على الثّمن الذي اشتريت به؟

قالوا : الدّرهم درهمين .

قال : أعطاني غيركم زيادة على هذا!

قالوا : أربعة .

قال عثمان رضي الله عنه : أعطاني غيركم أكثر .

قال التّجار : نربحك خمسة .

قال عثمان : أعطاني غيركم أكثر .

فقالوا : ليس في المدينة تجار غيرنا ، ولم يسبقنا أحد إليك ، فمن الذي أعطاك أكثر مما أعطينا؟

قال عثمان رضي الله عنه : إن الله قد أعطاني بكل درهم عشرة ، الحسنة بعشرة أمثالها ، فهل عندكم زيادة؟

قالوا : لا .

قال عثمان : فإني أشهد الله إني جعلت ما جاءت به هذه الجمال صدقة للمساكين وفقراء المسلمين .

ثم أخذ عثمان بن عفان يوزّع بضاعته ، فما بقي من فقراء المدينة واحد إلاّ أخذ ما يكفيه ويكفي أهله .

وهذه قصة رائعة ذات معان رائعة وردت عن أحد الزاهدين «أحمد بن مسكين» أحدِ علماءِ القرن الثالث الهجري في البصرة . .

قال : «امتُحِنْتُ بالفقر سنة تسع عشرة ومائتين ، فلم يكن عندنا شيء ، ولي امرأة وطفلها ، وقد طوينا على جوع يخسف بالجوف خسفاً ، فجمعت نيتي على بيع الدار والتحوّل عنها ، فخرجت أتسبب لبيعها فلقيني أبو نصر ، فأخبرته بنيّتي لبيع الدار فدفع إليّ رُقاقتين من الخبز بينهما حلوى ، وقال أطعمها أهلك .

ومضيت إلى داري فلما كنت في الطريق لقيتني امرأة معها صبي ، فنظَرَت إلى الرقاقتين وقالت : يا سيدي ، هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع ، فأطعمه شيئًا يرحمك الله ، ونظر إليّ الطفل نظرة لا أنساها ، وخيّل إليّ حينئذ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يشبع هذا الطفل وأمه ، فدفعت ما في يدي للمرأة ، وقلت لها : خذي وأطعمي ابنك .

والله ما أملك بيضاء ولا صفراء ، وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام ، فدمعت عيناها وأشرق وجه الصبي فرحاً ، ومشيت وأنا مهموم ،

وجلست إلى حائط أفكر في بيع الدار وإذ أنا كذلك إذ مرّ أبو نصر وكأنه يطير فرحًا ، فقال : يا أبا محمد ، ما يجلسك ها هنا وفي دارك الخير والغنى؟! قلت : سبحان الله!

ومن أين يا أبا نصر؟! قال : جاء رجل من خراسان يسأل الناس عن أبيك أو أحدٍ من أهله ، ومعه أثقال وأحمال من الخير والأموال ، فقلت : ما خبره؟ قال : إنه تاجر من البصرة ، وقد كان أبوك أودَعه مالاً من ثلاثين سنة ، فأفلس وانكسر المال ، ثم ترك البصرة إلى خراسان ، فصلح أمره على التجارة هناك ، وأيسَر بعد المحنة ، وأقبل بالثراء والغنى ، فعاد إلى البصرة وأراد أن يتحلّل ، فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في ثلاثين سنة .

يقول أحمد بن مسكين : حمدت الله وشكرته ، وبحثت عن المرأة المحتاجة وابنها ، فكفيتهما وأجرَيت عليهما رزقاً ، ثم اتجرت في المال ، وجعلت أربه بالمعروف والصنيعة والإحسان وهو مقبل يزداد ولا ينقص ، وكأني قد أعجبني نفسي وسرني أني قد مُلِئت سجلاتُ الملائكة بحسناتي ، ورجوت أن أكون قد كُتبت عند الله في الصالحين ، فنمت ليلة فرأيتُني في يوم القيامة ، والخلق يموج بعضهم في بعض ، ورأيت الناس وقد وُسِّعَتْ أبدانُهم ، فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقة مجسّمة ، حتى لكأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مخزيات ، ثم وضعت الموازين ،

وجيء بي لوزن أعمالي ، فجعلت سيئاتي في كفة وألقيت سجلات حسناتي في الأخرى ، فطاشت السجلات ، ورجحت السيئات ، ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه ، فإذا تحت كل حسنةٍ شهوةٌ خفيةٌ من شهوات النفس ، كالرياءِ والغرورِ وحب المحمدة عند الناس ، فلم يسلم لي شيء ، وهلكتُ عن حجتي .

سمعتُ صوتًا : ألم يبق له شيء؟

فقيل : بقي هذا

فنظرت لأرى ما هذا الذي بقي ، فإذا الرقاقتان اللتان أحسنت بهما على المرأة وابنها ، فأيقنت أني هالك ، فلقد كنت أُحسِنُ بمائةِ دينارٍ ضربةً واحدة فما أغنَت عني ، فانخذلت انخذالاً شديدًا ، فوُضِعَت الرقاقتان في الميزان ، فإذا بكفة الحسنات تنزل قليلاً ورجحت بعضَ الرجحان ثم وُضعت دموع المرأة المسكينة التي بكت من أثر المعروف في نفسها ومن إيثاري إياها وابنها على أهلي ؛ وإذا بالكفة ترجُح ، ولا تزال ترجُح حتى سمعت صوتًا يقول : قد نجا قد نجا قد نجا .

صدق الرسول الكريم ﷺ «اتّقُوا النّارَ ولَو بشِقِ تَمرَة» رواه البخاري .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الحشر

جاء رجل من أهل الصفة للرسول ﷺ وهم فقراء من الصحابة رضوان الله عليهم لا عندهم طعام ولا شراب ولا مسكن وكانوا يسكنون في مسجد رسول الله ﷺ وما جاء إلى النبي ﷺ إلا لشدة ما أصابه من الجوع .

فسأل النبي ﷺ شيئاً من الضيافة شيئًا من الطعام شيئاً من الشراب . .

فلم يجد عنده رسول الله ﷺ ، تخيلوا يا إخوان خير البشر محمد ﷺ لم يجد طعاماً في بيته من أجل أن يطعم هذا الصحابي رضي الله عنه وأرضاه . .

فـــدفع النبي ﷺ هذا الصـــحـــابي إلى رجل من الأنصار . . . هذا الأنصاري لم يكن يعلم هل في بيته طعام أم لا ولكنه استجاب لأمر رسول الله ﷺ . .

فذهب بهذا الصحابي إلى بيته ثم سأل امرأته : هل لدينا من طعام؟ قالت هذه المرأة لا يوجد عندنا إلا طعام أطفالنا ، فقال هذا الأنصاري : اجعليهم ينامون فإذا ناموا أحضري الطعام وأطفئي السراج ، وفعلاً نام الأطفال وأحضروا الطعام ووضعوه بين يدي الضيف واطفؤوا السراج وبدأ هذا الأنصاري يناول هذا الصحابي من أهل الصفة الطعام حتى شبع ثم أخذ به إلى رسول الله ﷺ . .

فقال له الرسول صلوات ربي وسلامه عليه لقد عجب أهل السماء من فعلكما فأنزل الله سبحانه وتعالى الآية .

ضربـــوا لنـــا أروع الأمثلـــة في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ .

ضربوا لنا أروع الأمثلة في الأخوة في الله

ضربوا لنا أروع الأمثلة في الكرم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

الرعد

مبدأ جدد حياتك

مصعب بن عمير رضي الله عنه ، ذلك الشاب المترف ، نشأ في مكة شابًا جميلاً مترفًا ، فقد كانت أمه غنية ، وكانت تأتي له بملذات العيش من مكة ومن خارجها ، وتعود على الترف المستورد ، فالملابس من اليمن ، والعطور من الشام ، ولم يكن له هم في حياته إلا البحث عن اللذة المادية ، وليس له أي تدخل بالذي يحصل حوله في الدنيا ، وليس له في الدين أمر أو شأن ، وكذلك في العلم والسياسة والحرب ليس له أي دخل ، وليس له في مشاكل الناس أي دخل ، فعاش حياة فارغة تماماً .

إلا أنه ما أن بلغت دعوة النبي محمد إلى الإسلام ، حتى أسلم سرًا في دار الأرقم خوفًا من أمه خناس بنت مالك ومن قومه ، فكان من السابقين إلى الإسلام .

بقي مصعب على تلك الحالة إلى أن أبصره عثمان بن طلحة يصلي ، فأخبر قومه ، فأخذوه وحبسوه ، تغيرت حياة مصعب بن عمير وحصلت له نقلة هائلة في كيان وتكوين هذا الشخص ، فتحول فجأة من الشاب المترف إلى شاب صلب قوي عملاق صاحب تقوى وزهد وعلم وقوة وتضحية وفروسية ، فحرمته أمه من كل الدنيا الحلوة التي كانت تأتي بها له ، فلم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا .

عرف مصعب أن السعادة الحقيقة ليست في لبس أو أكل أو عطر ، وإنما السعادة الحقيقة في إحساسك أن لك قيمة ، وأن لك هدفاً وغاية ، وأنك تعرف ربك وتعرف كيف تعبده ، وأنك تجاهد في سبيل الله ، وأنك تهاجر في سبيل الله ، وأنك تضحي في سبيل الله ، فقد تغيرت مقاييس السعادة تماماً في حياة مصعب ، فقد هاجر إلى الحبشة الأولى والثانية ، ثم ذهب إلى المدينة المنورة ليعلم أهلها الإسلام ، وأصبحت سعادته الكبرى أن يرى رجلاً ينتقل من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، حتى وإن كان لا يعرف هذا الرجل من قبل .

بل ولم يكتف مصعب بالهجرة إلى الحبشة وتعليم الناس في المدينة ودعوتهم إلى الإسلام ، وبأنه كان سبباً مباشراً في إسلام مدينة كاملة أصبحت عاصمة للإسلام والمسلمين ، لم يكتف بأنه نقل الدعوة من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، لم يكتف بذلك كله بل أراد أن يذوق من كل أنواع السعادة في الإسلام ، فهو قد ذاق حلاوة العقيدة ، وذاق حلاوة الإخوة ، وذاق حلاوة الهجرة ، وذاق حلاوة الدعوة ، فهو يريد أن يذوق حلاوة الجهاد في سبيل الله ، فشهد مصعب مع النبي محمد ﷺ غزوة بدر وغزوة أحد ، وانظروا إلى الشاب مصعب بن عمير الذي كان شاباً يعيش على هامش التاريخ قبل أن يسلم ، وانظروا إليه في أحد وهو يحمل راية المسلمين .

قاتل بضراوة وجاهد بإخلاص وحارب بالثبات النادر ، فقطعت يده اليمنى ، فأمسك اللواء بيده اليسرى ، فقطعت يده اليسرى ، ثم سقط مصعب على الأرض ، لكنه أمسك الراية بعضدية ولم يسمح لها أن تسقط ، فلا يمكن أن تسقط راية الإسلام وما زالت به حياة ، وأصبحت راية الإسلام هذه قضية مصعب الكبرى ، وخدمة الإسلام ونصرته ،

أصبحت أهداف وطموحات مصعب ، وإلى آخر نبضة قلب في حياته كان مصعب يجاهد في سبيل الله ، ومن أرض أحد إلى الجنة مباشرة ، فقد استشهد رضي الله عنه وأرضاه وذهب إلى النعيم الحقيقي لا النعيم الدنيوي ، فهذه هي حياة مصعب بن عمير الذي تغيرت كلياً والذي غيّره هو الكتاب والسنة ، ونحن والحمد لله بين أيدينا الكتاب والسنة ، فنحن الذين نقدر على التغيير . .

جدد حياتك ، إن هذا المبدأ هو مبدأ إسلامي به نهضت الأمة وصعدت وهنالك في القرآن الكريم آيتان تتحدث عن مبدأ تجديد الحياة ،

فالآية الأولى يقول الحق تبارك وتعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد :١١]

وهذه الآية تقول إنك إذا كنت تريد أن تغيّر حالك من الأسوأ إلى الأفضل غيّر ما بنفسك ؛ بمعنى أوسع يجب عليك تغيير اهتماماتك وتفكيرك وأولوياتك فإن استطعت أن تغيّر هذا كله إلى الأفضل تأكد أن حياتك ستتغير إلى الأفضل .

والآية الثانية يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال : ٥٣)

هذه الآية هي عكس الآية الأولى وهي أن الإنسان إن غيّر حياته من الأفضل إلى الأسوأ فأمره نافذ سبحانه وتعالى ،لكنه جلّ وعلا يغير ما بالناس إذا غيروا ، فإذا كانوا على طاعة واستقامة ثم غيروا إلى المعاصي غير الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلى ضد ذلك بسبب معاصيهم وذنوبهم ،

وهذا المبدأ مرتبط ارتباطاً كلياً فيما بداخلك من اهتمامات وأولويات وأفكار فإن غيّرت كل اهتماماتك وأفكارك فحتماً ستتغيّر حياتك ، فبيدك كل شي فإن كانت اهتماماتك سيئة وتعيسة فتأكد أن قلبك سيتغيّر وستتغيّر كل النعم التي تملكها إلى قحط وفقر وحاجة ؛ فستتغير الصحة إلى مرض والأمن إلى خوف والغنى إلى فقر بسبب الذنوب والمعاصي والانحراف عن الحق والطريق القويم وهكذا العكس إذا كانوا في معاصي وشرور وانحراف ثم توجهوا إلى الحق وتابوا إلى الله ورجعوا إليه واستقاموا على دينه ،

فإن الله يغير ما بهم سبحانه من الخوف والفقر ، والاختلاف والتشاحن إلى أمن وعافية واستقامة وإلى رخاء وإلى محبة وإلى تعاون وإلى تقارب فضلاً منه وإحساناً سبحانه وتعالى ، فالعبد بيده الأسباب فعنده الإرادة والمشيئة العمل وأعطاه الله الأدوات والعقل والتصرف والأسباب يعرف به الضار والنافع والخير والشر ، فإن استعمل عقله وأسبابه في الخير جازاه الله على ذلك بالخير العظيم وأدرّ عليه نعمه ، وجعله في نعمة وعافية بعد ما كان في سوء وشر .

وإليكم هذه القصة التي تحثنا على تغيير اهتماماتنا أو حتى طريقة حياتنا فهذه القصة لم تغيّر طريقة حياتها فقط بل غيّرت حياة قبيلة كاملة لامس الإيمان قلوب أفرادها ، فحدثت في حياتها النقلة الهائلة ، وليس أي قبيلة ، بل قبيلة اشتهرت بالسطو ، وقطع الطريق على المسافرين والتجار وأخذ أموالهم بالقوة وأبعد الناس عن طريق الهدى والصلاح ، قبيلة غفار .

القبيلة التي منها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه ، هذا الصحابي الجليل الذي هو من أوائل من أسلم

والذي كان يأبى عبادة الأصنام ، وينكر على من يشرك بالله ، ولما سمع بأمر النبي ﷺ أرسل أخاه ، ليعلم له علم - النبي ﷺ ويسمع من قوله ثم يأتيه ، فانطلق الأخ حتى أتى رسول الله - ﷺ - وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلامًا ما هو بالشعر» ، فقال أبو ذر : ما شفيتني مما أردت ، وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله ﷺ .

ويروي لنا البخاري في صحيحه قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه فيقول : قال لنا ابن عباس : ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ ، قلنا : بلى ، قال : قال أبو ذر : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتني بخبره ، فانطلق فلقيه ثم رجع ، فقلت : ما عندك؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر ، فأخذت جراباً وعصا ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد ، قال : فمر بي عليّ - رضي الله عنه - فقال : كأن الرجل غريب؟! قال : قلت : نعم ، قال : فانطلق إلى المنزل ،

قال : فانطلقت معه ، لا يسألني عن شيء ولا أخبره ، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ، قال : فمر بي عليّ ، فقال : أما نال للرجل يعرف منزله بعد؟ قال : قلت : لا ، قال : انطلق معي ، قال : فقال : ما أمرك ، وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : إن كتمت عليَّ أخبرتك ، قال : فإني أفعل ، قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخي ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه ، فقال له : أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك ، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت ، فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي - ﷺ - ، فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه فأسلمت مكاني ، فقال لي : يا أبا ذر ، اكتم هذا الأمر ، وارجع إلى بلدك ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق ، لأصرخنّ بها بين أظهرهم ، فجاء إلى المسجد وقريش فيه ، فقال : يا معشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ ، فقاموا فضربت لأموت ،

فأدركني العباس فأكب عليَّ ثم أقبل عليهم ، فقال : ويلكم ، تقتلون رجلاً من غفار ، ومتجركم وممركم على غفار ، فأقلعوا عني ، فلما أن أصبحت الغد رجعت ، فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ، وأدركني العباس فأكب عليّ ، وقال مثل مقالته بالأمس . قال : فكان هذا أول إسلام أبي ذر .

عاد أبو ذر إلى قبيلته يدعوها إلى الإسلام ، يدعوهم إلى ترك عبادة الأصنام ، يدعوهم إلى أن يعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، يدعوهم إلى ترك منهج الحياة الذي كانوا عليه تركاً كلياً ، يدعوهم إلى أن يسلكوا منهجاً مغايراً تماماً ، وأن يغيروا اهتماماتهم وأفكارهم وطريقة حياتهم ومعنى ذلك : أنه يدعوهم إلى أن يغيروا كل شيء في حياتهم ، وهذا ليس سهلاً ، فبدلاً من أن يقطعوا الطريق على الناس يدعوهم إلى أن تكون رسالتهم في الحياة أن يحفظوا للناس دينهم وأموالهم وحياتهم ، وبدلاً من أن يأخذوا من الناس أموالهم سيدعوهم إلى أن يعطوهم من زكاتهم وصدقاتهم ، وبدلاً من أن يمتلكوا قلوب الناس بالسطو على الناس بالقوة يدعوهم إلى امتلاك قلوب الناس بالرفق والدعوة .

فهذه معاني ما أتت في فكر قبيلة غفار قبل هذا نهائياً ، وكان أمراً خطيراً على حياة أبي ذر أن يذهب ليغير منهج وأولويات قبيلة كاملة ، قبيلة اعتادت على قطع الطريق ، ثم يقول لها : غيروا حياتكم وتفكيركم وعيشوا حياة ثانية ، ويصرّ على موقفه هذا ، وتأملوا أيضاً في قبيلة غفار كيف أن مجموعة من اللصوص تعاونت على الشر والإثم ستغير حياتها كلها ، وتنتقل إلى حياة أخرى نظيفة وجميلة وسعيدة بسعادة الإسلام لا بسعادة الدنيا .

ويجب أن نقف مع أبي ذر وهو واقف يفكر في كيف أنه سيكلم هؤلاء الناس ، وسبحان الله فإن أبا ذر لم يثنه تاريخ القبيلة وطريقة حياتهم عن أن يتحدث معهم في أمر الإيمان ، ونحن أيضاً نستطيع تغيير حياتنا واهتماماتنا متى ما كانت لدينا نيّة صادقة في التغيير ، آمنت وأسلمت قبيلة غفار كاملة ، فانتقلوا بإيمانهم هذا من درجة قطاع الطريق إلى درجة الصحابة مرة واحدة ، من أفضل أجيال الخلق ، فيا ترى ، كم واحداً منا كانت بدايته أسوأ من بداية قبيلة غفار؟ وانظر إلى التعليق النبوي الرائع على إسلام قبيلة غفار .

ففي البخاري ومسلم وغيرهما : عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهم جميعاً أنهم قالوا : قال رسول الله ﷺ : «غفار غفر الله لها» .

إن الله عز وجل أعطى هذا الإنسان عقلاً يستطيع أن يميز به بين الخير والشر ، وأعطاه فطرة سليمة تقبل الطيب وتكره القبيح ، وأعطاه بعد كل ذلك فرصة الاختيار ، فيختار هو كل شيء : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي : وضحنا له الطريقين : طريق الهداية وطريق الضلالة .

وننتقل إلى قصة أخرى تعلمنا معنى تجديد الحياة ومعنى تغيير الأولويات ومعنى تبديل التعاسة بالسعادة والضياع والضلال بالهدى قصة مالك بن دينار الذي تغيرت حياته والذي أخذ يحكي قصته ، ويرددها على مسامع الحاضرين ، لعله يوجد من بينهم من يجد فيها العبرة ، وتكون سبباً لهدايته ، ويقول فيها : لقد اشتريت جارية بجمال فتان ، وأنجبت منها طفلة كانت هي النعيم .

كان مالك بن دينار منهمكاً في ملذات الحياة والوقوع في المعاصي وشرب الخمر ، وكان قلبه قد تعلّق بابنته بشكلٍ كبيرٍ ، وكلّما كبرت كان الإيمان يزداد في قلبه ،

فكانت في إحدى المرات -ولم تكمل ابنته السنتين- رأته يحمل كوباً من الخمر فأزاحته بيدها ، وكأنها رسالةٌ من الله عز وجل ، واستمرت الأوضاع كذلك حتى أكملت ابنته ثلاثة أعوام من عمرها ، فماتت ، فازداد وضع مالك سوءاً ورجع إلى معصيته وأكثر مما كان عليه .

حتى جاءت ليلة النصف من شعبان ، فشرب مالك بن دينار حتى غاب عن الوعي وأخذت تراوده الأحلام ، حتى رأى أنه في يوم القيامة ، وتحوّلت المياه إلى نارٍ ، وأظلمت الشمس ، واجتمع الناس للحساب ، وكان المنادي ينادي كلاً باسمه ليُعرَض على الجبار ، ثم جاء دور مالكٍ فنادى عليه المنادي وشعر مالكٌ بأن الناس قد اختفت من حوله ، ثم جرى ثعباناً ضخماً باتجاهه فاتحاً فمه ، فركض مالكٌ ، فرأى رجلاً ضعيفاً فطلب منه المساعدة ، إلاّ أنَّ العجوز أخبره بأنه ضعيفٌ ولا يمكنه المساعدة ولكن يمكنه الهرب من ناحيةٍ معينةٍ .

ركض مالكٌ من تلك الناحية إلاّ أنه وجد النار أمامه ، فعاد باتجاه الرجل العجوز وسأله مرةً أخرى المساعدة ، فأخبره الرجل العجوز بالهرب باتجاه الجبل ، وعند اقترابه من الجبل

كانت هناك مجموعةٌ من الأطفال فكانوا ينادون على ابنته بأنْ اركضي وأدركي أباك ، فأخذت البنت أباها بيدها اليمنى ، وضربت الثعبان بيدها اليسار ، ثم جلست في حجره كما كانت تجلس في الدنيا ، وقالت له : «ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم» ، ووضحّت له بأن الثعبان هو العمل السيئ والرجل العجوز هو العمل الصالح ، فاستيقظ مالكاً من نومه فزعاً وقرر التوبة وتغيير حياته واهتماماته وأولوياته فاغتسل وذهب للصلاة ، وتاب توبةً نصوحاً .

تغيرت حياة مالك بن دينار من الضلال إلى الهدى من التعاسة إلى السعادة ، غير مالك بن دينار اهتماماته برؤيا رآها في المنام ، وأصبح مالك بن دينار قدوة السالكين في طريق تحتاج إلى الكثير من جهاد النفس والهوى ، فأصبح مالك بن دينار علم العلماء الأبرار معدود في ثقات التابعين ، ومن أعيان كتبة المصاحف ، وقد ذكر هذه القصة ابن قدامة المقدسي في كتاب التوابين ، وابن الجزري في كتاب : الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح ، كما ذكرها ابن الجوزي والعجلوني .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

الكهف

يقول ابن عباس ﵁ ، جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله! إني أقف المواقف أي أفعل الطاعات أريد بها وجه الله ، وأن يرى موطني ، يعني هذا الصحابي يقدم الطاعة بين يدي الله سبحانه وتعالى يريد وجه الله ، ورضا الله ويريد أيضاً أن يرى الناس هذه الطاعة وهو يتقرب إلى الله ، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية .

العمل الصالح إذا أردت أن يقبله الله فلابد أن يتوفر به شرطان :

الشرط الأول :

هو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله لا يمسه رياء ولا سمعة .

الشرط الثاني :

أن يكون هذا العمل موافق بما جاء به رسول الله ﷺ

واعلم وتيقن وتفطن وتأكد أنه لا يصعد إلى الله أعظم من الإخلاص لله سبحانه وتعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

آل عمران

علم وجهاد

خرجَ هارون الرّشيد حاجاً ، وكان من عادته أن يحجّ عاماً ويغزو عاماً ، ولمّا أتمّ المناسك زار المدينة المنوّرة ، وكان مُحبّاً للعلم والعلماء ، فأرسلَ في طلب الإمام مالك ليأتي إليه ويُعلّمه ، فامتنع مالكٌ عن المجيء ، وقال قولته الشّهيرة : العِلمُ لا يأتي وإنما يُؤتى إليه! فما كان من الرّشيد إلا أن حضر إلى مجلس مالك في المسجد النّبويّ ، ولكنّه طلب أن يقتصر المجلس عليه وعلى من معه . . . فقال مالك قولته الشّهيرة الأخرى : لا خير في علم يُوضعُ للخاصة وتُحرمُ منه العامة! فامتثل الرّشيد وجلسَ بينَ النّاس!

وإنك لا تدري لأي الرّجلين منهما تعجب ، للإمام الزّاهد في الخليفة ، أم للخليفة المتمسّك بالإمام؟

وهو الذي كان يخاطب السّحابة في كبد السّماء قائلاً :
أمطري حيث شئتِ فسيعود إليّ خَراجُكِ!

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أحد أوعية العلم ، ومصابيح الهدى : والذي نفسي بيده ، لَيَودَّنَّ رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء ، لما يرون من كرامتهم أي : من كرامة العلماء .

ويقول الفقيه الداعية المربِّي الحسن البصري : يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مدادُ العلماء ، ذلك أن الجهاد لا يُعرف فضله إلا بالعلم ، ولا تتَّضح شروطه وحدوده إلا بالعلم ، ولا يتبيَّن الجهاد المشروع من القتال غير المشروع إلا بالعلم .

وكم من شباب في زمننا دفعهم الحماس الكثير في صدورهم ، مع العلم القليل في رؤوسهم ، والإعجاب المزهو برأيهم ، إلى رفض أمتهم ، وتكفير جماهيرها ، واعتبار أوطانها ديارَ كفر لا دار إسلام ، فاستحلوا بذلك ما حرَّم الله ، وأسقطوا ما أوجب الله ، اتباعاً لمتشابه النصوص ، وابتغاء الفتنة ، وابتغاءَ تأويله .

ولو تعلموا وفقهوا ، وتلقّوا العلم من أهله ، وعرفوه من مناهله ، لوقف بهم العلم عند حدودهم ، وعرّفهم حقيقة الجهاد : كيف يكون؟ ومتى يكون؟ ولمن يكون؟

حيث يقول الإمام الحسن البصري :

«العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح . فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا» .

وهذه قصة جميلة تعرفنا معنى العلم والجهاد في سبيل الله ، قد يكون المسلم متميزًا في باب معين من أبواب الخير فهذا شيء عظيم يستحق أن يثني عليه الناس به ويذكروه ، ولكن أن يكون المسلم فقيهًا وعالمًا ومحدّثًا ومجاهدًا وأميرًا للجيوش وقائدًا لأساطيل أعالي البحار وقاضيًا ومعلمًا ومدافعًا عن السنّة وقامعًا للبدعة ومرابطًا في سبيل الله حتى الموت ، فهذا النوع من الرجال الأبطال لا بد أن نؤرخ له وبماء الذهب .

بطلنا هو الأمير الكبير والفقيه البارع والمحدّث الثقة وأمير المجاهدين أبو عبد الله «أسد بن الفرات بن سنان» ولد سنة ١٤٢ هجرية بمدينة «حران» ، ثم انتقل إلى بلاد المغرب مع أبيه «الفرات بن سنان» سنة ١٤٤ هجرية الذي كان قائدًا للمجاهدين الذين خرجوا لنشر الإسلام في بلاد المغرب ، واستقر مع أبيه بالقيروان ، ونشأ من صغره على حب العلم وحفظ كتاب الله حتى أتمه في مرحلة الصبا وأصبح هو نفسه معلمًا للقرآن وهو دون الثامنة عشرة .

بعدما أتم أسد حفظ كتاب الله بدأ في تحصيل العلوم الشرعية حتى برع في الفقه

وكان محبًا للنظر والمسائل المتفرعة وإعمال العقل ، فمال ناحية مذهب أبي حنيفة وظل هكذا حتى التقى مع «علي بن زياد» والذي يعتبر أول من أدخل مذهب الإمام مالك بن أنس بالمغرب ، فسمع منه أسد كتاب «الموطأ» ، وتلقى منه أصول مذهب مالك ، وبعدها أراد أن يأخذ العلم من منبعه ، فقرر أسد أن ينتقل إلى المشرق في رحلة علمية طويلة ابتداء من سنة ١٧٢هجرية ، وهو في شرخ الشباب .

دخل أسد بن الفرات المدينة النبوية لسماع «الموطأ» من الإمام مالك مباشرة ، وكان الإمام مالك له ترتيب خاص في إسماع «الموطأ» حيث كان يقسم السامعين إلى ثلاثة أفواج :

الفوج الأول : أهل المدينة .

الفوج الثاني : أهل مصر .

الفوج الثالث : بقية الناس .

ولاحظ الإمام مالك حرص أسد على سماع الحديث وشغفه بالعلم ، فأدخله مع الفوج الثاني أهل مصر ، ولكن أسد بن الفرات كان شديد الشغف بالعلم ، فاستقل مرويات مالك في «الموطأ» واستزاده في السماع ، فارتحل إلى العراق بعدما انتهى من سماع «الموطأ» .

وحفّزه شغفه بالعلم على الارتحال إلى العراق لَمَا كان يسمعه من تمجيد للإمام أبي حنيفة وإشادة بعلمه وفقهه وورعه . فلقي أصحاب أبي حنيفة أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمرو وأخذ عنهم علمًا غزيرًا . فتعلم أسد أولًا المذهب الحنفي ، وأكثر من سماع الثقات في الحديث ، واستفاد أسد من محمد بن الحسن استفادة كبرى وكتب عنه الكثير من مسائل المذهب الحنفي المشهور .

استمر قيام أسد في رحلته هذه إلى العراق جامعًا بين طلب الحديث والفقه إلى سنة ١٧٩ هجرية وهي السنة التي توفي فيها الإمام مالك ، فارتجت العراق لموته وأقبل الناس من كل مكان للسماع من تلاميذ مالك ، وعندها ندم أسد على أنه لم يبق بجوار مالك وقال لنفسه : «إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه» .

ارتحل أسد بن الفرات إلى مصر وكان بها أخص تلاميذ مالك وأكثرهم علمًا وورعًا ودرس المذهب كله بأصوله وفروعه ، ودوّن هذه المسائل كلها في الكتاب الشهير «المرونة» أو «الأسدية» ، وحرّرها وضبطها حتى صارت المرجع الأول للفقه المالكي ببلاد المغرب وقتها ، وأخيرًا عاد أسد بن الفرات إلى القيروان سنة ١٨١ هجرية بعد رحلة علميّة شاقّة وحافلة بالفوائد ، عاد إلى القيروان بعد رحلة في طلب العلم استغرقت أعواماً تنقل فيها بين المدينة ومكة وبغداد والكوفة والفسطاط في طلب العلم حتى صار من كبار علماء المغرب وإمامًا من أئمة المسلمين ، بلغ درجة الاجتهاد فلا يفتي إلا بعد النظر والترجيح ولا يتقيد بمذهب معين .

عاد أسد بن الفرات إلى القيروان حاضرة المغرب وقتها ومنارة العلم الأولى في الشمال الأفريقي بأسره بعلم جم في الحديث والفقه بمدرستيها الأوليين ؛ الحنفية والمالكية ، وجلس بجامع عقبة وأقبل عليه طلبة العلم من كل مكان ؛ من المغرب والأندلس واشتهر أمره وظهر علمه وارتفع قدره وانتشرت إمامته ، جاءته الأسئلة من أقصى البلاد ليجيب عليها .

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في كتابه الماتع المفيد صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل :

« . . . . . وأنا أدعو كل طالب علم هُمَام وهَمَّام ، وأرجو منه أن يقرأ ترجمة الإمام (أسد بن الفراتً) ففيها يقف على مآثر متنوعة له ولشيوخه ، في العلم والنبل والكياسة والأدب والجهاد والشجاعة والاستبسال والاستشهاد والتقوى والتواضع وتحمل المشاق في تحصيل العلم والمكارم ، فهي ترجمة نابضة حافزة لا يشبع من قرأها من قراءتها» .

بلغ أسد درجة الاجتهاد ، فلم يكن يلتزم برأي واحد ، بل يفتي بما يوصله إليه اجتهاده ، وكان يلتزم بأقوال أهل المدينة

وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، وكان إذا جلس في المجلس وسرد أقوال العراقيين ، أي مذهب أبي حنيفة ، قال له المشايخ الذين يجالسونه ممن يذهب مذهب أهل المدينة - أي مذهب مالك : «يا أبا عبد الله أوقد القنديل الثاني» فيسرد أقوال المدنيين ما يوضح سعة علمه .

سُئلَ الشعبيُّ عن مسألة ، فقال : لا أعلم!

فقيل له : أما تستحي أن تقول لا أعلمُ ، وأنتَ فقيه العراق؟!

فقال : إن الملائكة لم تستحِ حين قالتْ : «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا»!

أما نحن في هذا الزمن فنعاني من عقدة الإفتاء ، في كلٍّ منا مفتٍ صغير ، تجدون الواحد منا لا يعرف في أمور الفقه أكثر من الوضوء ولا يتورع أن يعطيك فتوى جازمة لم يتفق عليها الفقهاء!

تولى أسد بن الفرات القضاء بإفريقية سنة٢٠٣هـ/٨١٧م . فقضى بين الناس بالعدل . واعتمد في أحكامه الكتاب والسنة . وأعمل العقل فيما لم يرد في شأنه نصٌّ فذاع صيته وأكبره الناس لعلمه وفقهه ونزاهة مواقفه .

كان أسد بن الفرات شديد الضبط والتحرير والدقة لكتبه حتى صار مضرب الأمثال ، كان أسد بن الفرات يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما ووافق الحقّ عنده . ويحقّ له ذلك لاستبحاره في العلوم وبحثه عنها وكثرة من لقي من العلماء والمحدثين» .

كان أسد بن الفرات على عقيدة أهل السنة والجماعة ، عقيدة السلف الصالح ، لذلك كان من أشد علماء المغرب على أهل البدعة ، معروفًا بنشر السنة حتى خارج إفريقية «تونس حاليًا» وكان يكثر من تقريع المبتدعين ، كان أسد بن الفرات من العلماء العاملين وأيضًا من كبار المجاهدين في سبيل الله ، فلقد ورث حب الجهاد عن أبيه الذي كان أمير مجاهدي حران والذي حمل ولده الصغير «أسدًا» وخرج به مجاهدًا في سبيل الله ؛ لذلك نشأ أسد في بيت جهاد وبطولة وفداء ، فشب عالمًا نابهًا وأيضًا جنديًا جريئًا ، وبحارًا مغامرًا ، حتى إنه في سن الشباب وقبل أن يقوم برحلته العلمية المشهورة اشترك في العديد من المعارك البحرية في مياه البحر المتوسط ، ويقول العلامة ابن خلدون : إن أسد بن الفرات هو الذي افتتح جزيرة «قوصرة» وهي جزيرة صغيرة تقع شرقي تونس الآن .

كانت إفريقية أو تونس واقعة تحت حكم دولة الأغالبة التي استقلت بحكم البلاد منذ سنة ١٨٤ هجرية ولكنها كانت تابعة للدولة العباسية ، وكانت هذه الدولة في بداياتها معنية بأمر الجهاد ونشر الإسلام ، فاتجه ولاة هذه الدولة بأبصارهم ناحية الجزر الكبرى الواقعة في منتصف البحر المتوسط مثل جزيرة صقلية ، كورسيكا ، سردانية ، وغيرهم ولكن التركيز الأكبر كان على جزيرة صقلية .

تعتبر جزيرة صقلية أكبر جزر البحر المتوسط مساحة وأغناها من حيث الموارد الاقتصادية وأفضلها موقعًا ، ولقد انتبه المسلمون لأهمية هذه الجزيرة مبكرًا منذ عهد الصحابة ، حيث حاولوا فتحها في عهد عبد الله بن سعد ﵁ ثم معاوية بن حديج ، ثم عقبة بن نافع ، ثم عطاء بن رافع ، وكان آخرهم عبد الرحمن بن حبيب وذلك سنة ١٣٥هجرية ، ثم وقعت الفتن الداخلية ببلاد المغرب بين العرب والبربر وانشغل المسلمون عن جهاد العدو الذي انتهز الفرصة وأغار على سواحل المغرب عند منطقة إفريقية مما جعل المسلمين يتوحدون ويتهيؤون للرد على هذا العدوان البيزنطي .

في هذه الفترة وقعت العديد من الاضطرابات بجزيرة صقلية والتي كانت تتبع الدولة البيزنطية حيث وقع نزاع على حكم الجزيرة بين رجلين أحدهما اسمه «يوفيميوس» وتسمّيه المراجع العربية «فيمي» ، والآخر اسمه «بلاتريوس» وتسميه المراجع العربية «بلاطه» وانتصر «بلاطه» على «فيمي» الذي فرّ هاربًا إلى إفريقية واستغاث بزيادة الله بن الأغلب حاكم إفريقية وطلب منه العون في استعادة حكمه على الجزيرة ، فرأى زيادة الله فيها فرصة سانحة لفتح الجزيرة .

وحين كان في السبعين من عمره ، نادى منادي الجهاد في سبيل الله أن هلموا لفتح صقلية ، استنفر «زيادة الله» الناس للجهاد وفتح صقلية ، فهرعوا لتلبية النداء وجمعت السفن من مختلف السواحل وبحث ابن الأغلب عن من يجعله أميرًا لتلك الحملة البحرية الكبيرة ، فلم يجد خيرًا ولا أفضل من الأسد الهصور والبطل المقدام «أسد بن الفرات» على الرغم من كبر سنه في هذه الفترة «ربيع الأول ٢١٢ هجرية» أي سبعين عامًا ، وكان هذا الاختيار دليلاً على فورة المشاعر الإسلامية في هذه الفترة والأثر الكبير

لعلماء الدين الربانيين على الشعب المسلم ، وكان أسد بن الفرات يبدي رغبته في هذه الغزوة كواحد من المسلمين ؛ لأنه كان محبًا للجهاد عالمًا بمعاني ومقتضيات آيات النفرة في سبيل الله ودور العلماء في ذلك ، وأيضًا كان يكره الشهرة والرياء .

ولكن ابن الأغلب أصر على أن يتولى قيادة الحملة العسكرية فعيّنه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب قائداً على الجيش الذي وجّهه إلى صقلية لفتحها دون أن يعزله من خطّة القضاء «فلم تجتمع الإمارة (المقصود بها قيادة الجيش باسم الأمير الأغلبي) والقضاء لأحد ببلد إفريقية إلاّ لأسد وحده» .

رغم السنين السبعين التي يحملها فوق كتفيه وتخصصه في العلم الفقهي إلا أنه كان له شوق للجهاد المسلح في سبيل الإسلام ، فتقدم جندياً إلى الجيش المتجه لجزيرة صقلية لفتحها ، ولكن حاكم تونس ، والعارف بمكانته وقدراته ، اختاره قائداً للحملة ؛ ليقود عشرة آلاف مجاهد وينتصر بهم ثم يسقط شهيداً بعد أن أضاف للإسلام جزيرة عامرة ازدهرت فيها حضارته زهاء قرنين ، مقدماً المثال للعلماء المجاهدين بالقلم والسيف .

خرج أسد بن الفرات من القيروان في حملة عسكرية كبيرة قوامها عشرة آلاف من المجاهدين المشاة وسبعمائة فارس بخيولهم في أكثر من مائة سفينة كبيرة وصغيرة خرجت من ميناء سوسة على البحر المتوسط ، وسط جمع عظيم من أهل البلد الذين خرجوا لتوديع الحملة المجاهدة .

تحرك الأسطول الإسلامي يوم السبت ١٥ ربيع الأول سنة ٢١٢ هجرية متجهًا إلى جنوبي جزيرة صقلية ، وبالفعل تحركت الأساطيل المسلمة إلى بلدة «فازر» في طرف الجزيرة الغربي بعد ثلاثة أيام من الإبحار أي يوم الثلاثاء ، ونفذ أسد بن الفرات على رأس جنده إلى شرقي الجزيرة ، وهناك وجد قوة رومية بقيادة الثائر «فيمي» الذي طلب مساعدة «ابن الأغلب» لاستعادة حكمه على الجزيرة ، وعرض «فيمي» على «أسد بن الفرات» الاشتراك معه في القتال ضد أهل صقلية .

ولكن القائد المسلم العالم بأحكام شريعته المتوكل على الله عز وجل وحده يرفض الاستعانة بالمشركين تأسّيًا بالنبي ﷺ الذي رفض الاستعانة باليهود يوم أحد .

استولى «أسد» على العديد من القلاع أثناء سيره..

مـثل قلعـة بلوط ، والدب ، والطواويس ، حـتى وصل إلى أرض المعركة عند سهل «بلاطه» نسبة إلى حاكم صقلية ، وعندها أقبل «بلاطه» في جيش عدته مائة وخمسون ألف مقاتل ، أي عشرة أضعاف الجيش المسلم ، وعندها قام أسد بن الفرات في الناس خطيبًا ، فذكرهم بالجنة ، وموعود الله عز وجل لهم بالنصر والغلبة ، وهو يحمل اللواء في يده ، ثم أخذ يتلو آيات من القرآن ، وأخذ يحض المجاهدين ويبين لهم منزلة الشهداء وقال :

«والله يا معشر الناس ما ولي لي أبٌ ولا جد ولاية قط ، وما رأى أحد من أسلافي مثل هذا قط ، وما بلغته إلا بالعلم ، فعليكم بالعلم ، أتعبوا فيه أذهانكم ، وكدّوا به أجسادكم ، تبلغوا به الدنيا والآخرة» .

ثم اندفع للقتال والتحم مع الجيش الصقلي الجرّار ، واندفع المسلمون من ورائه ، ودارت معركة طاحنة لا يسمع منها سوى صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول والتكبير الذي يخترق عنان السماء ، والأسد العجوز أسد بن الفرات الذي جاوز السبعين يقاتل قتال الأبطال الشجعان حتى إن الدماء كانت تجري على درعه ورمحه من شدة القتال

وكثرة من قتلهم بنفسه وهو يقرأ القرآن ويحمس الناس ، وتمادت عزائم المسلمين حتى هزموا الجيش الصقلي شرّ هزيمة ، وفر «بلاطه» من أرض المعركة وانسحب إلى مدينة «قصريانة» ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ؛ ففرّ إلى إيطاليا وهناك قتل على يد بني دينه بسبب جبنه وإحجامه عن قتال المسلمين .

بعد هذا الانتصار الحاسم واصل أسد بن الفرات زحفه حتى وصل إلى مدينة «سرقوسة» ومدينة «بلرم» فشدّد عليها الحصار وجاءته الإمدادات من «إفريقية» واستطاع أسد بن الفرات أن يحرق أسطول البيزنطيين الذي جاء لنجدة «بلرم» وأوشكت المدينة على السقوط ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث حل بالمسلمين وباء شديد أغلب الظن أنه الكوليرا أو الجدري ، فهلك بسببه عدد كبير من المسلمين في مقدمتهم القائد المقدام «أسد بن الفرات» فلاقى حمام الموت مرابطًا مجاهدًا بعيدًا عن أهله وبيته وحلق دروس العلم ، مجافيًا لفراشه وداره ، مؤثرًا مرضاة ربه ونصرة لدينه ، وذلك في شعبان سنة ٢١٣ هجرية .

فجمع بين خصال الخير كلها من علم وورع ، وجهاد وشهادة ، وسبحان الله ، تجد في صفحات التاريخ أن تقدمنا وعلوّنا يرتبط بتمسكنا بعقيدتنا ، وكل نكباتنا تقترن بابتعادنا عنها وتفريطنا في ديننا ، فاللهم عوداً كسابق عهدنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَّيْسَ عَلَى لضُّعَفَآءِ وَلاَ عَلَى لْمَرْضَى وَلاَ عَلَى لَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى لْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

التوبة

أمر رسول الله ﷺ الناس أن يتجهزوا للجهاد معه في سبيل الله ، فجاءت النبي ﷺ عصابة من أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم : «والله لا أجد ما أحملكم عليه» .

فتولوا ، وهم يبكون ، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ، ولا راحله تحملهم ، فلمّا رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم في كتابه فقال : (لّيْسَ عَلَى الضعفآء وَلاَ على المرضى) .

أمنية عظيمة ، وهدف سام ، فهذه هي نفوس العظماء الذين تعلقت قلوبهم بطاعة الله سبحانه وتعالى .

ومازال في هذه الأمة مثل هؤلاء ، ومازال في هذه الأمة من يحزن على فوات الطاعة .

اللهم أعنّا على طاعتك وحسن عبادتك .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

التوبة

فتح الفتوح

تقدم الوفد الإسلامي بأسيرهم الهرمزان إلى المدينة المنورة ليرى فيه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيه ، وكان على رأس الوفد سيدنا أنس بن مالك والمغيرة بن شعبة والأحنف بن قيس رضي الله عنهم ، وتوجه الجميع من «تُسْتَر» إلى المدينة ، وكانت المسافة كبيرة جداً تُقدَّر بألف كيلو متر ، وكان الهرمزان تحت حراسة مشددة ، فلمّا اقتربوا من المدينة ألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه ، وكان مكلّلًا بالياقوت ، وأساوره وأعقاده الذهبية

ومنطقته وسيفه الذهبي ، ألبسوه هذا اللباس ليدخل المدينة في هذه الهيئة ، فيرى المسلمون هذا العزَّ وهذه العظمة كيف سقطت في أيدي المسلمين؟ وكيف أعز الله المسلمين وأذل هؤلاء بالإسلام؟ فألبسوه لباسه ودخلوا به إلى المدينة ، فطلبوا عمر فلم يجدوه في بيته ، فسألوا عنه فقيل : جلس في المسجد لوفد من الكوفة .

دخل الهرمزان المسجد ، وتأهب لمقابلة رئيس الدولة التي أسقطت عروش كسرى وقيصر ، والذي أرسل جيوشًا مخرت «فارس» من الجنوب إلى الشمال ، ومن الغرب إلى الشرق ، رئيس الدولة التي زلزلت «الروم» و«فارس» ، كان منتظرًا لمقابلة رئيس الدولة الذي تطيعه كل هذه الجيوش فتتحرك بكلمة منه في بلاد الروم وفارس ، فلما دخل المسجد قال الهرمزان : أين عمر؟

فقالوا : هو ذا . فوجده في وضع غريب جداً ، وجده نائمًا في ركن من أركان المسجد ، لباسه متواضع ، ليس له حرّاس أو حُجّاب ، تعجب الهرمزان! ، فكيف يستطيع هذا الرجل المتواضع الذي ينام في ركن من أركان المسجد أن يسقط كل هذه العروش ، ويهز هذه الأبنية التي ملأها الكبر والعظمة ،

فيتعجب الهرمزان متسائلاً عن عمر بن الخطاب ، فقالوا : ها هو نائم .

وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه ، وجعل الهرمزان يقول : وأين حجّابه؟ أين حَرَسه؟ فقالوا : ليس له حجاب ولا حرس ، ولا كاتب ولا ديوان . ينام في المسجد في منتهى الأمن .

فقال الهرمزان : ليس له حاجب ولا حارس! ينبغي أن يكون نبيًا .

فقالوا : لا ، بل يعمل عمل الأنبياء

تعجب الهرمزان ؛ رجل على مثل هذا وليس بنبيٍّ ، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسًا (ومن هذه اللحظة يبدأ اللقاء التاريخي بين سيدنا عمر بن الخطاب أمير الدولة الإسلامية الناشئة التي أسقطت عروش فارس والروم وبين الهرمزان أمير الأهواز وأحد أمراء الدولة الفارسية) نظر عمر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان؟

قالوا : نعم .

فتأمله وتأمل ما عليه ، ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين بالله .

ثم قال : الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه ، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدي نبيكم ، ولا تبطرنّكم الدنيا فإنها غدارة .

فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكَلِّمْهُ .

فقال : لا ، حتى لا يبقى عليه من حليته شيء .

ففعلوا ذلك وألبسوه ثوبًا صفيقًا ، فقال عمر : يا هرمزان ، كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال : يا عمر ، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم فغلبناكم ، إذ لم يكن الله معنا ولا معكم ، فلما كان الله معكم غلبتمونا .

فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا .

ثم قال : ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟

فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك .

فاستسقى الهرمزان ماء فأُتي به فلمّا أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أُقْتَلَ وأنا أشرب .

فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه سكب الهرمزان الماء .

فقال عمر : أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش .

فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأمن به .

فقال له عمر : إني قاتلك . فقال : إنك أمَّنتني .

قال : كذبت . فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين . فقال عمر : وَيْحَكَ يا أنس! أنا أُؤَمِّنُ من قتل مجزأة والبراء؟

فقال أنس قلت يا أمير المؤمنين : لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك .

فأقبل عمر على الهرمزان فقال : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم .

فأسلم الهرمزان ، ففرض له عمر رضي الله عنه على ألفين ، وأنزله المدينة .

ليس لهذا اللقاء أهمية عسكرية كبيرة ، بل تُظهِر هذه المقابلة بوضوح أخلاق المسلمين في هذا اللقاء ، فنحن نرى سيدنا عمر بن الخطاب يصبر على الهرمزان ويأمر له بالماء ، وكان بإمكان سيدنا عمر بن الخطاب قتله أو الغدر به ،

ولكن في مثل هذه المواقف تظهر الرحمة التي تربّى عليها المسلمون حتى مع من غدر بهم وقتل منهم ، ويظهر ذلك جليًا في تعامل سيدنا عمر بن الخطاب مع الهرمزان .

وقصتنا هذه عن شخصية جادة في اتخاذ القرار ، وشخصيتنا هذه هي الصحابي الجليل النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه وأرضاه .

بدأت قصة هذا الصحابي الجليل ، أنه كانت هنالك قبيلة تسكن قريباً من المدينة المنورة على طريق مكة ، هذه القبيلة كانت تسمع عن النبي ﷺ وعن دعوته والخصال التي يدعو لها ، والنعمان بن مقرن كان سيدًا في قبيلته مزينة ، فجمع يوماً من الأيام أبناء قبيلته وبدأ يحدثهم ، فقال لقومه يا قوم واللّهِ ما عَلِمْنا عن محمد إلاَّ خيراً ، ولا سَمِعْنَا من دَعْوَتِه إلاَّ مَرْحَمَةً وإِحْساناً وعَدْلاً ، فما بالُنا نتأخر عنه ، والناسُ إليه يُسْرِعون؟! ثم أتبعَ يقول : أما أنا فقد عَزَمْتُ على أن أغدُوَ عليه إذا أصْبَحْتُ ، فمَنْ شاء منكم أنْ يكونَ مَعي فَلْيَتَجَهَّزْ .

كان يوم إسلامه يومًا مشهودًا ، فقدم على النبي ﷺ مع قومه ومعه الهدايا . . معلناً إسلامهم جميعاً ففرحت

المدينة أشد الفرح بهذا الخبر إذ لم يسبق لبيت من بيوت العرب أن أسلم منه أحد عشرَ أخاً من أبٍ واحد ومعهم أربع مائة فارس ، فنزل فيهم قوله تعالى ﴿وَمِنْ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال فيهم رسول الله ﷺ : «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان» .

فلما كان النعمان رضي الله عنه جاد في تغيير نفسه وفي اسلامه ، شارك مع النبي ﷺ في كل المشاهد والغزوات ولم يتخلف عن أي غزوه من غزوات النبي ﷺ ،

وحينا توفي النبي الكريم ﷺ وتولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه وارتدت الجزيرة عن الإسلام فثبت النعمان بن مقرن رضي الله عنه على الإسلام وشارك في حروب الردّة وإرجاع الناس إلى طريق الهدى ، حتى جاء عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبدأت الدولة الإسلامية تكبر وتقاتل أكبر الإمبراطوريات في ذلك الزمن الروم وفارس ، وقبل معركة القادسية الخالدة أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأن

يرسل وفوداً إلى يزدجرد كسرى فارس يدعونه إلى الإسلام ،

فبعث سعْد بن أبي وقاص إلى يزدجرد وفدًا من عشرين رجلاً ، عشرة منهم هم من ذوي الرأي والوجاهة وعليهم النعمان بن المقرن وعشرة آخرون عليهم هيبة ووقار وأجسام ضخمة وعليهم عاصم بن عمر التميمي ، فسار هذا الوفد حتى وصل إلى المدائن فأعد يزدجرد الأمراء والوزراء لاستقبالهم ، فلما دخلوا سألهم يزدجرد : ما الذي أدخلكم بلادنا؟ ، فرد عليه النعمان بن المقرن رضي الله عنه قائلاً : إن الله قد بعث إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا بالإنصاف ، وأنّا ندعوكم إلى ديننا فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فالمناجزة ، فتطاول يزدجرد على الوفد الإسلامي فقال : لا أعلم أمة في الأرض كانت أشقى منكم وأَخَذ يُذكِّرهم بحياتهم قبلَ الإسلام وقلة عددهم وضعف شأنهم ، فتصدَّى له المغيرة بن زرارة ، فقال : إنَّ الله ورسوله أمَرنا أن ندعوَ مَن يلوننا من الأمم إلى الإسلام ، فاخترْ إن شئت أن تُسلِمَ فتنجي نفسك ، أو تُعطي الجزية عن يدٍ وأنت صاغِرٍ ، أو السيف ، فاستغرب يزدجرد وقال : أتستقبلني بمثل هذا؟! قال : ما استقبلتُ إلاَّ مَن كلَّمني ، فغضب يزدجرد وأخذته العزة

بالإثم وقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ارجعوا إلى صاحبكم وقولوا له إني مرسل إليه لستم أكبر قادة فارس حتى أدفنكم في خندق القادسية ، ثم أمر يزدجرد بإحضار كيس من تراب فقال لرجاله : احملوه على أشْرف هؤلاء ، ويقصد الوفد الإسلامي فسكت المسلمون وخرج عاصم بن عمر وقال أنا أشرف هؤلاء فقال : يزدجرد انثروه على رأسه ، فنثروا التراب على رأسه ثم خرج الوفد عائداً إلى سعد بن أبي وقاص ، فلما وصلوا قال عاصم بن عمر لسعد : أبشر أيها الأمير فإن الله قد أتانا مقاليد ملكهم .

ومرت الأيام وجاءت معركة القادسية ، وكان النعمان بن مقرن ﷺ قائداً في هذه المعركة ، وانتصر المسلمون في معركة القادسية على الفرس انتصاراً عظيماً وملأ خندق القادسية بجثامين الفرس ، واستمرت الأيام حتى جاءت البطولات إلى النعمان بن مقرن بعدما فرّ الفرس وتحصّنوا في مدينة نهاوند والتي كانت محصنة وصعبة الاختراق .

وفي هذه الأثناء وصل إلى عمر بن الخطاب ﷺ رسالة عبد الله بن عبد الله بن عتبان والي الكوفة :

يخبره بتجمع أعداد كبيرة من الفرس وصل تعدادهم إلى مائة وخمسين ألف جندي لقتال المسلمين في نَهاوَنْد ، وهي من المدن المهمة في عمق الدولة الفارسية ، ويقودهم الرجل الثاني في مملكة فارس وهو الفيرزان ، وكان عبداللّه قد أرسل إلى عمر يستأذن في أن يقاتل الفرس ، وكان عمر قد أوقف العمليات العسكرية والفتوحات بهدف أن يعيد المسلمون انتشارهم وترتيب صفوفهم وإدارة البلاد التي قاموا بفتحها .

وصلت الرسالة إلى عمر فقرأها رضي الله عنه فنظر عمر إلى الرسول فسأله : من أنت : فقال الرسول قريب ، فقال عمر : قريب ابن من؟ فقال الرسول ابن ظفر ، فقال رضي الله عنه : ظفر قريب ، وتفاءل رضي الله عنه باسمه .

فقرر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه بتأسيس جيش ويتوجه هذا الجيش ليفتح نهاوند ، فصعد المنبر ونادى في الناس أن الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس واخبرهم رضي الله عنه أنه قد عزم على أن يخرج بجيش من المدينة ثم يعسكر بين الكوفة والبصرة حتى يكون ردءاً للناس في هذه المعركة ، فكان أول من قام وأشار على عمر هو طلحة ابن عبيد الله ، وقال افعل

ما ترى يا أمير المؤمنين ونحن معك ، ثم قام بعد ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وأشار على عمر بأن يجمع أهل اليمن ويجمع أهل الشام ويجمع أهل الجزيرة ويرسلهم جميعاً ليساعدوا ويغيثوا إخوانهم في العراق ، ثم قام بعد ذلك الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وقالوا : إن أهل الكوفة استأذنوك ولم يستمدوك ، فلا يروعك ما يحدث في بلاد العراق .

ثم قام علي رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين أصاب الزبير وعبد الرحمن فيما قالوا ، وإن مكانك من المسلمين مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإذا انحلَّ تفرَّق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع شمله أبداً ، وإن العرب وإنْ كانوا قليلاً فإنهم أعزة بالإسلام ، وإنك إذا جمعت أهل اليمن انقضت الأحباش على ذراريهم ، وإذا جمعت أهل الشام انقضت الروم على ذراريهم ، وإن جمعت كل أهل الجزيرة أصابت الجزيرة الفوضى ، وبعد أن فند علي رضي الله عنه الآراء وأشار أن يقسم أهل الكوفة وهم أعيان العرب ورؤساؤهم أن يقسم أهل الكوفة إلى ثلاثة أثلاث ، فليذهب الثلثان منهم إلى نهاوند ، ويقيم الثلث مع النساء والذراري ، واكتب إلى أهل

البصرة واجعلهم ثلاث فرق ، ففرقة في الحرم والذراري ، وفرقة منهم في الأهواز تمنع نقض عهد فارس ، والفرقة الأخيرة تكون مددًا لأهل الكوفة في نهاوند ، وإن هذا الأمر لم يكن نصره أو خذلانه لكثرة أو قلة ، هو دينه الذي أظهر ، وجنده الذي أعزه وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود الله وتأييد الملائكة .

وما إن أتم سيدنا عليٌّ مقالته حتى شرح الله لها قلب سيدنا عمر بن الخطاب ، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب ألاّ يخرج على رأس الجيوش ، وألاّ يستدعي أهل الشام أو أهل اليمن ، ولكن سيكتب إلى الشام طالبًا منهم مددًا قليلاً لنجدة المسلمين في فارس ، وكانت فرقة صغيرة وعلى رأسها القعقاع بن عمرو التميمي ، ثم قال عمر : أشيروا عليَّ بمن أولِّيه أمر الحرب ، وليكن عراقيًا (أي من الجيش الموجود بالعراق) .

فقالوا : أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين .

فقال : «أما والله لأُوَلِّينَّ رجلاً يكون أَوَّلَ الأسِنَّة إذا لقيها غدًا» .

قالوا : من يا أمير المؤمنين؟ قال : النعمان بن مُقَرِّن .

فقالوا : هو لها .

ونذكر مقالة سيدنا عبد الله بن عباس : إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا ، وإن بيت بني مُقَرِّن من بيوت الإيمان ، كان للنعمان بن مقرن عشرة أخوة كلهم ذهبوا للجهاد في سبيل الله .

فارسل عمر إلى النعمان أن يتولى قيادة هذا الجيش وينطلق إلى نهاوند ليفتحها وقال :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد . . . فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فَسِرْ بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرًا فتؤذِيَهم ، ولا تمنعهم حقًا فتكفِّرَهم ، ولا تدخلهم غيضة ، فإن رجلاً من المسلمين أحب إليَّ من مائة ألف دينار» .

فَسِرْ في وجهك ذلك حتى تأتي «مَاه» وهي (على بُعد مائة وثلاثين كيلو مترًا غربي نهاوند) فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فإذا اجتمع إليك جنودك فَسِرْ إلى

الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا بالله ، وأَكْثِروا من لا حول ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليك» .

فكتب عمر إلى أبي موسى بتقسيم جيشه إلى ثلاث فرق إحداها في الحريم والذراري ، والفرقة الثانية إلى الأهواز ، وفرقة تخرج إلى «ماه» وأنت على رأسها ليقابل سيدنا النعمان بن مقرن في «ماه» ويكون تحت إمرته .

وما إن وصلت الرسائل حتى تحركت الجيوش إلى مدينة «ماه» ، وبعد أن وصلت رسالة تولية سيدنا النعمان بن مقرن يقوم بإرسال مجاشع بن مسعود من صحابة النبي بجيش إلى مكان يسمى «غُضَيّ شجر» ، وهذه المنطقة تقع بين نهاوند وبين جنوب فارس ، والغرض من إرسال هذه الفرق هو قطع إمدادات أهل فارس في الجنوب عن أهل نهاوند في الشمال .

وبعد أن تجمعت الجيوش في منطقة «ماه» بدأ سيدنا النعمان بن مقرن بتجهيز الجيوش ليضع خطة حربه في نهاوند ؛ فبدأ بإرسال فرق استكشافية تستكشف له الطريق وتستكشف أرض الفرس ، فأرسل ثلاثة أشخاص

هم : عمرو بن أبي سلمى وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد الأسدي ، وقد كان لسيدنا طليحة بن خويلد الأسدي باع طويل في الاستكشافات داخل الأراضي الفارسية ، فأرسل الثلاثة ليأتوا بخبر القوم ، فسارت الطليعة يومًا وليلة ، فرجع عمرو بن أبي سلمى وعمر ابن معدي كرب ، ومضى طليحه ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحَبَّ ، ومكث فيهم ستة أيام وقد خشي بعض المسلمين أن يكون سيدنا طليحة بن خويلد قد ارتدَّ ثانية ولجأ إلى معسكر الفرس ، وقد ادَّعى سيدنا طليحة بن خويلد النبوة في عهد النبي ، وتاب الله عليه بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكانت له جهود عظيمة في حروب المسلمين مع الفرس حتى نال الشهادة في سبيل الله .

وعاد سيدنا طليحة إلى سيدنا النعمان ليخبره بخبر الفرس ، وأن تجمعهم خارج نهاوند وعلى رأسهم الفيرزان ، قرر سيدنا النعمان بن مقرن التحرك إلى الفرس ، وعبَّأ جيشه والتقى بالفيرزان وجيش الفرس الذي كان قوامه مائة وخمسين ألف فارس ، وكبر النعمان وكبر بعده المسلمون فتزلزلت الأعاجم وخلعت قلوبهم ، وكيف لا يتزلزلون

وهم يسمعون هذا التكبير ، فهم لا ينسونه في القادسية ولا ينسونه في فتح المدائن ولا ينسونه في جلولاء ، ولا ينسونه في تستر ، وهنا أيضاً يرتعب الفرس مرة أخرى لسماع صوت التكبير ، وكان تعداد الجيش الفارسي مائة وخمسين ألف فارسي ، وتعداد الجيش الإسلامي ثلاثين ألف مسلم ، ونشب القتال وكان قتالاً عنيفًا وشديدًا ، يشبّهه المؤرخون بقتال القادسية وجَلُولاء بل أنها كانت من أشد قتال مرَّ بالمسلمين ، ويمضي يوم على القتال بين المسلمين والفرس وما زالت الحرب سجالاً بين الطرفين ، ولم يحقق أيُّ الفريقين انتصارًا ، وبقدوم الليل توقف القتال لتعاد الكَرَّة في الصباح ، وانتهى اليوم الثاني وما زالت المعركة سجالاً بين الجيشين ، على الرغم من كثرة تعداد الفرس وأنهم خمسة أضعاف الجيش الإسلامي ، فكان جهدًا عظيمًا بُذِلَ من قبل المسلمين ، وأدرك الفرس أن المعركة إن استمرت على تلك الحالة ستكون الغلبة للمسلمين .

أدرك الفرس أنه لا مناص من الهزيمة التي حتمًا ستلحق بهم ، فانسحب الجيش الفارسي ليتحصن بداخل

مدينة نَهاوَنْد ، وصبحهم المسلمون في اليوم الثالث فلم يجدوا جيش الفرس كما عهدوا في أول يومين في المعركة ، فقد انسحب بداخل نَهاوَنْد وأغلق على نفسه الحصون العالية ، ومنطقة نَهاوَنْد هي منطقة جبلية ، وحصن نَهاوَنْد فوق جبل عالٍ تقع على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ومكان الحصن كان يعطي قوة كبيرة للفرس ، فبينما هم بالداخل كان المسلمون أسفل الحصن ، وبإمكان الفرس أن يصلوا إلى المسلمين بسهامهم ، ومن الصعوبة أن يصل المسلمون إلى الفرس بسهامهم ، فقرر المسلمون أن يحاصروا الفرس في نهاوند ، فكان الحصار فيه مشقة كبيرة على المسلمين ، لكن صَبَرَ المسلمون واستمروا في حصار الحصن فترة تقترب من الشهرين ، وكانت من أشد الفترات على المسلمين ، وكان الحصار أصعب من حصار «تُسْتَر» على الرغم من أن حصار تستر استمر عامًا ونصفًا ، إلا أن هذا الشهر كان في غاية الصعوبة فقد تزامن مع فصل الشتاء ، وكان الجو شديد البرودة خاصة في المرتفعات ، ولم يتعود المسلمون من قبل على مثل هذا الجو من البرد ، ولم يكن مع المسلمين سوى الخيام القليلة وقليل من الملابس تحميهم من البرد ، ورابط

المسلمون وتحملوا المشقة والجهود منتظرين نصر الله تعالى القريب .

فقرر النعمان ان يقيم مجلساً عسكرياً ويستشير كبار رجالات الجيش ، فقال لهم إنكم قد رأيتم اعتصام العدو في هذه المدينة ونحن لا نستطيع ان نقاتلهم ، فتكلم عمرو بن ثُبَيٍّ أولاً فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم ، فدعهم ولا تحرجهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم .

فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا .

وتكلم عمرو بن معدي كرب فقال : قاتلهم وصاولهم ولا تخفهم .

فردوا جميعًا عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران ، والجدران أعوان لهم علينا .

فقام طليحة بن خويلد وأشار على النعمان أن ينسحب الجيش وأن تخرج سرية من المسلمين يقودها أحد كبار القادة ، ثم فليخرجوا وليقاتلوا الفرس وليظهروا الهزيمة حتى إذا أخذوا في الهروب فيخرج الفرس عن آخرهم ، برزنا لهم وقاتلناهم حيناً .

واستجاد الناس هذا الرأي ، وفكر سيدنا النعمان في القيام بهذه المهمة الصعبة ، ومن يختار لها ، ووقع اختياره على فارس من فرسان المسلمين قال عنه الصديق : إنه بألف رجل . فأمر النعمان القعقاع بن عمرو ، وكان على المجردة ، فتحرك في الظلام ناحية مدينة نَهاوَنْد ، وفي الوقت نفسه ينسحب الجيش الإسلامي ويختفي وراء جبل من الجبال البعيدة ، ولم يظهر أمام نَهاوَنْد إلا القوات التي مع القعقاع بن عمرو التميمي .

وفي بداية الصباح يبدأ المسلمون برشق السهام الكثيرة ، وكانوا فرقة من الرماة المهرة استطاعت أن تصل سهامهم إلى داخل حصون نَهاوَنْد ، ووجد الفرس أن هذه الفرقة تسبب لهم الأذى رغم أنها قليلة العدد ؛ فَغَرَّهم ذلك وخرجوا للقتال ، ونشب القتال وكانت معركة من أشد المعارك حتى على القعقاع نفسه ، وكان الجيش يقاتل ولا يريد النصر ، فبعقليته العسكرية لا يريد أن يحقق نصرًا صغيرًا بل أراد أن يظهر أمامهم الهزيمة حتى يخرجهم من حصونهم ، وبدأ القعقاع في تنفيذ الخطة التي اتفق عليها المسلمون ، فأظهر الهزيمة حتى أخرجهم من خنادقهم ،

وابتعد الفرس عن حصنهم ، والمسلمون على تعبيتهم في صدر النهار ، وكان الجيش الإسلامي يقف خلف جبل يراقب الموقف من بعيد ، وأصبح القتال من الشدة بمكان على الفرقة الإسلامية التي يقودها سيدنا القعقاع بن عمرو ؛ فقد أنشب القتال بينه وبين الفرس من الفجر إلى قبل الظهر بقليل ، فقال الناس للنعمان : ألا ترى ما نحن فيه ، فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم . فقال : رويدًا رويدًا . فكان النعمان رابط الجأش حليمًا على شدته وضراوته في القتال ؛ فقد قال فيه سيدنا عمر بن الخطاب : لأولين عليهم رجلاً أسبقَ من الأسنة . فهو يقاتل بحكمة وغير متسرع في القتال ، ظل على موقفه حتى جاءه المغيرة بن شعبة وقال : إن القتال قد اشتد على القعقاع ومن معه ، ولا أرى ذلك رأيًا ، ولو كنت مكانك لناهدتهم . فقال سيدنا النعمان : رويدًا رويدًا ترى أمرك ، نحن نرجو في المكث ما ترجو أنت في الخروج . فيتألم المغيرة لما يحدث بالمسلمين ، وانتظر النعمان بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله أن يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال ، وصلَّى الجيش صلاة الظهر ، ووقف النعمان يخطب في المسلمين ، وقال :

«قـد علمت ما أعـزكم الله به من هذا الدين وما وعـدكم من الظهـور ، وقـد أنجـز لكم أوله وسـيلحق بكم آخـره ، واذكـروا ما مضى إذ كنتم أذلة ، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة ، فأنتم اليوم عباد الله حقًا وأولياؤه ، وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم ، وما اخترتم وما اختاروا لكم ، فأما ما اختاروا لكم فهذه الرثَّة وما ترون من هذا السواد ، وأما ما اخترتم لهم فدينكم ، ولا سواء ما اخترتم وما اختاروا ، فلا يكونُنَّ على دنياهم أحمى منكم على دينكم» ، ثم رفع يديه فقال : اللهم أقر عيني بنصر تعز به الإسلام وتذل به الكفر ، واجعلني أول شهيد .

بدأ القعقاع بالتراجع مُظهِرًا الهزيمة أمام الفرس ، متجلدًا لقتالهم حتى وصل إلى مقدمة الجيوش الإسلامية المختبئة خلف الجبال ، وقد اختار الجيش الإسلامي مكانًا فسيحًا للقتـال ، ويقع بين الجـبل الذي يختـبئ وراءه المسلمـون والناحيـة الأخرى هاوية سحيقـة ، وأراد المسلمون حصار الفرس في هذه المنطقة ، فكان ظهر المسلمين الجبل وكانت هذه الهاوية السحيقة في ظهر الفرس ، فإذا ضغط المسلمون على الفرس ضغطًا شديدًا ، فسيكون السقوط في الهاوية

أحد عوامل الهزيمة غير سيوف المسلمين ، فكان اختيار الأرض موفقًا ، كبر سيدنا النعمان تكبيرات ثلاث ، وحمل راية المسلمين ، ورأى المسلمون الراية تتجه نحو الفُرْسِ بسرعة الصقر ، فهجموا هجومًا عنيفًا على الفرس ، فتفاجأ الفرس بخروج الجيش ورأى أنهم لابد من القتال ، وتلتقي السيوف في لقاء شديد ، فالمسلمون أمام خيارين : إما النصر وإما الشهادة ، فحمل المسلمون حملة واحدة وثبت لهم الفرس ، فما تسمع إلا صوت الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة من شدة ثبات الفرس للقتال .

ولما اشتد القتال وحمي وطيس الحرب ، وفي وسط المعركة يأتي سهم من الفرس ليستقر في قلب سيدنا النعمان بن مقرن قائد المسلمين ، وقد استجاب الله دعاءه ، ويتلفظ بالشهادة لتكون آخر كلماته في الدنيا ويلفظ أنفاسه الأخيرة ، ليخلد في النعيم المقيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأول من أتاه بعد سقوطه أخوه سيدنا نعيم بن مقرن قائد المقدمة ، فيعتصر قلبه من الألم لما رأى من حال أخيه وسقوطه في بداية المعركة ، وخشي على

المسلمين من المصيبة فسجاه بثوبه ، وأخذ الراية قبل أن تسقط ، وذهب بها إلى سيدنا حذيفة بن اليمان وأخبره باستشهاد سيدنا النعمان بن مقرن ، فقال له سيدنا حذيفة : اكتم مصاب أميرنا عن المسلمين . فيحمل سيدنا حذيفة بن اليمان الراية ويستمر القتال ويدير دفة المعركة إلى الظلام ، والمسلمون يقاتلون قتالاً شديداً حتى أصبحت الهلكة شديدة في الفرس وكثرت الدماء ، حتى انزلقت الأقدام في الدماء من كثرتها ، وكثر انزلاق الخيول في هذه المعركة .

وبعد قتال استمر من الزوال إلى الظلام كتب الله النصر لجنده المؤمنين ولعباده المخلصين ، وقُتِلَ عددٌ كبير من الفرس يحصى بمائة وعشرة آلاف فارس من مجموع مائة وخمسين ألفًا ، منهم ثمانون ألفًا لم يقتلوا بسيوف المسلمين ، وإنما قتلوا سقوطًا في الهاوية السحيقة ، وذلك يرجع إلى توفيق الله ثم حُسْنِ اختيار المسلمين لأرض المعركة ، وهذا من أكبر الأدلة على أن الأخذ بالأسباب له أهمية قصوى في القتال ، وفَرَّ أربعون ألفًا من أمام المسلمين شمالاً إلى مدينة همذان التي تبعد عن نَهاوَنْد مائة كيلو مترٍ تقريبًا شمالاً .

ومن فرَّ إلى الشمال الفيرزان قائد الجيوش الفارسية ، فأرسل المسلمون فرقة تطارد فلول الهاربين على رأسها القعقاع بن عمرو التميمي ، ولاح للمسلمين جيش الفرس الفارّ من أرض المعركة ، ويتنزل النصر من عند الله بجند من جنوده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر : ٣١] ، وكان الأمر غير متوقع في ذلك الوقت ، يقابل جيش الفيرزان بغالاً وحميرًا تحمل عسلاً ، قطعت الطريق على جيش الفيرزان ، والبغال والحمير تسير ببطء ، فنزل الفيرزان من على فرسه وكذلك فعل بقية الجيش الفارسي ، وفروا في الجبال على أقدامهم ، فينزل المسلمون عن خيولهم ويتتبعون الجيش الفارسي ، ويلمح سيدنا القعقاع الفيرزان من على بُعْد فيعرفه من هيئته فيتتبعه القعقاع بن عمرو فيقاتله ويقتله القعقاع ، وكانت هذه المنطقة تسمى ثنية الجبل وهو الطريق الواسع في الجبل ، فسميت هذه المنطقة بثنية العسل ، وظلت معروفة بهذا الاسم إلى زمان الإمام الطبري ، وكان المسلمون يتفكهون ويقولون : إن لله جنودًا من عسل . وبعد تتبع الفارين وقتل الفيرزان ، عادت الفرقة التي كان على رأسها القعقاع بن عمرو إلى نَهاوَنْد .

وقد قال القعقاع أبيات شعر بعد هذه المعركة فقال :

وَنَحنُ حَبَسنا في نَهاوَندَ خَيلَنا
لِشَرِ لَيالٍ أُنتِجَت لِلأَعاجِمِ
مَلأنا شِعاباً في نَهاوَندَ مِنهُمُ
رِجالاً وَخَيلاً أَضرَمَت بِالضَرائِمِ
وَراكَضَهُنَّ الفَيرُزانُ عَلى الصفا
فَلَم ينجِهِ مَنّا اِنفِساحُ المَخارِمِ

سمّيت معركة نهاوند الخالدة بفتح الفتوح ؛ لأنّها كانت خاتمة فتوحات المسلمين في بلاد العراق وفارس حيث قضت على الدّولة السّاسانيّة الفرسيّة التي دامت ما يقارب أربع مائة سنة ، ولأنّها كانت معركةٌ شديدة وصفت بأنّها الأشد من بين المعارك التي سبقتها مثل القادسيّة وتستر وجلولاء .

هنا انتهت قصة إنسان أقبل على هذا الدين ، أقبل على ربه ، انضوى تحت لواء المؤمنين ، استقام على منهج الله ، بذل كلّ شيءٍ في سبيل الله ، تألّقت روحه ، أشرقت نفسه ، اطمأن قلبه ، واستشهد في سبيل الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

الأحزاب

أنس بن النضر هذا الصحابي الجليل شاء الله أن يحول بينه وبين الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة بدر حائل، فحينما قدم النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين منتصرين في غزوة بدر، جاء في قلبه رضي الله عنه حزناً شديداً، حتى قال وعاهد الله، لئن لقينا المشركين «ليرن الله ماذا أصنع»، وما هو إلا عام وتكون غزوة أحد، ويكون أنس رضي الله عنه من أوائل من يخرج مع النبي ﷺ، فيلقى العدو ويقاتل قتال الأبطال، وبينما هو في وسط المعركة أشيع أن النبي ﷺ قد قتل، فقال لهم ما بكم.

فقالوا له: لقد مات رسول الله، فقال لهم: إذاً قوموا فموتوا على ما مات عليه نبيكم، فالتفت رضي الله عنه ناحية المشركين،

وقــال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء ، ثم نظر إلى ناحية المؤمنين فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، فانطلق نحو المشركين . .

فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه : إلى أين يا أنس؟

فقال : إني لا أجد ريح الجنة دون أحد .

فقاتل حتى قتل ، فما عرفته إلا أخته ببنانه ، ويقول الصحابة نحسبه والله حسيبه أنه ممن نزل فيه قول الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾

التوبة

سلعة الله

ورَد من حديث أنس رضي الله عنه قال :

«كنا يومًا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فقال : ((يطلع عليكم الآن من هذا الفجِّ رجلٌ من أهل الجنة)) ، قال : فطلع رجلٌ من أهل الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علَّق نعلَيْه في يده الشمال ، فسلَّم ، فلما كان الغد ، قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل على مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث ، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثلِ حاله الأول ، فلما قام النبي ﷺ تَبِعه عبدُ الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحَيْتُ أبي ، فأقسمت ألاَّ أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيت أن

تأويني إليك حتى تمضيَ الثلاث فعلتَ ، قال : نعم ، قال أنس : كان عبد الله يُحدِّث أنه بات معه ثلاثَ ليالٍ ، فلم يره يقومُ من الليل شيئًا ، غير أنه إذا تَعارَّ انقلب على فراشِه ، وذكر الله ، وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضَتِ الثلاثَ ، وكِدْتُ أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين والدي هجرة ولا غضب ، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ثلاث مرات : «يَطلُعُ الآن عليكم رجلٌ من أهل الجنة» ، فطلَعتَ ثلاث مرات ، فأردتُ أن آوي إليك ؛ لأنظرَ ما عملُك ، فأقتديَ بك ، فلم أرَك تعملُ كبيرَ عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسولُ الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيتَ ، قال : فانصرفتُ عنه ، فلما ولَّيْتُ دعاني ، فقال : ما هو إلا ما رأيتَ ، غير أني لا أَجِدُ في نفسي على أحدٍ من المسلمين غشًا ، ولا أحسدُه على ما أعطاه الله إيَّاه ، فقال عبد الله : هذه التي بلغَتْ بك هي التي لا نطيق» .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : «آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال :

تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة ، فيقول : يا رب ، أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، فيقول الله عز وجل : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول : لا ، يا رب ويعاهده ألا يسأله غيرها ، قال : وربه عز وجل يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب ، أدنني من الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه تعالى يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة ، وهي أحسن من الأولين ، فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال : بلى ، يا رب لا أسألك غيرها – وربه عز وجل يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ،

فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، ما يصريني منك ، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال : يا رب ، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك رسول الله - ﷺ - ، فقال : ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا : مم تضحك يا رسول الله؟ فقال : من ضحك رب العالمين ، حين قال : أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك ، ولكني على ما أشاء قادر» أخرجه مسلم .

إن رضا الله تعالى ، وشكره جل جلاله وحمده عز وجل هي المقاصد العُلى التي يرجوها كل مسلم في الدنيا وفي الآخرة ، وإن الجنة هي الوجهة التي يبذل المسلم في سبيل الوصول إليها الغالي والنفيس ، وهي الجائزة الكبرى التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين ، وعباده الموحدين ، الذين شهدوا بوحدانيته ، وآمنوا به جل جلاله وبملائكته الكرام وبكتبه وبرسله عليهم الصلاة والسلام وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والذين أعدوا العدة لهذا اليوم من اجتناب للسيئات وإقبالٍ على الأعمال الصالحة والحسنات .

ولكن هل نعرف ماهي الجنة؟ او كيف سندخل الجنة؟ او حتى ما يوجد في داخل الجنة؟

إن آخر محطات يوم القيامة هو الصراط ، والصراط جسر دقيق منصوب على جهنم ، وبعد هذا الجسر يوجد باب الجنة ، أي بعد أن نتجاوز هذا الصراط سنجد باب الجنة ، ويقول الله تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) ، أي أن عرض الجنة السموات والأرض فقط ولك أن تتخيل طول الجنة ، ومن الطبيعي أن الطول أكبر من العرض ، وهذا بالنسبة لحجم الجنة ، فتخيل هذه الحياة التي نعيشها الآن والتي لا تساوي شيئاً بالنسبة للجنة .

وبعدما تتجاوز الجنة ستجد أبواب الجنة الثمانية ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((مَن أنفق زوجينِ في سبيل الله ، نُودِي من أبوابِ الجنة : يا عبد الله ، هذا خيرٌ ، فمَن كان من أهل الصلاة ، دُعِي من باب الصلاة ، ومَن كان من أهل الجهاد ، دُعِي من باب الجهادِ ، ومَن كان من أهل الصيام ، دُعِي من باب الريَّان ، ومَن كان من أهل الصدقة ، دُعِي من باب الصدقة)) .

ويقول النبي عليه السلام عن حجم باب واحد من أبواب الجنة هذا الحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ ، أَوْ هَجَرَ وَمَكَّةَ ، وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى .

وأن باب الجنة لن يفتح إلا لرجل واحد فقط ، وهو الشفيع محمد ﷺ ، فتخيل الأنبياء والرسل والصحابة والصالحين والصديقين والشهداء يتجاوزون الصراط وينتظرون عند باب الجنة ، فتخيل عظم المنظر ، هنا يقف إبراهيم وإسماعيل وعيسى ونوح وآدم عليهم السلام ، وهناك تقف أمهات المسلمين وجميعهم ينتظرون أبواب الجنة تفتح ، وهي لا تفتح إلا للنبي عليه السلام ، ويقول النبي ﷺ : «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ» .

فتفتح أبواب الجنة وتخرج رائحة الجنة ويقول صلى الله عنه وسلم «رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام» ، فتخيل هذا الموقف وأنت واقف خلف النبي ﷺ وباب الجنة يفتح ،

يا لها من سعادة يا له من موقف جميل وعظيم ، ويقول النبي ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لا يَبُولُونَ ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَتْفِلُونَ ، وَلا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ» .

وهكذا ندخل الجنة زمراً ومجاميع تلو الأخرى ، فتخيل قدمك وهي تطأ أرض الجنة ، وأن أحداً من الصحابة تمنّى أن يطأ أرض الجنة وقد كان أعرج وهو عمر بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج ، تأمل في عمرو بن الجموح وكيف أن عرجته الشديدة لم تمنعه من الجهاد في سبيل الله ، وكان معذوراً في ذلك ، فعندما تجهز المسلمون لغزوة أحد أصر عمرو بن الجموح أن يخرج مع المسلمين للجهاد ، وحاول أبناؤه أن يمنعوه من الخروج ، لكنه ذهب يشتكيهم إلى رسول الله ﷺ ، ولم يقل : أنا معذور بنص القرآن الكريم : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور : ٦١] ، بل ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له : «يا نبي الله إن أبنائي

هؤلاء يريدون أن يحبسوني عن هذا الخير وهم يتذرعون بأني أعرج ، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة ، فأنا لا أريد عرجتي هذه أن تمنعني من الجهاد ومن دخول الجنة» ، وانظروا إلى أي حد هو مشتاق إلى الجنة ، فقال رسول الله ﷺ لأبنائه : «دعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» ، وتأمل قوله : (يرزقه الشهادة) ، أي : يرزقه الموت فالشهادة موت ،لكنه موت في سبيل الله ، فتأمل الهدف الذي صار عند عمرو بن الجموح ، والأمنية التي تمناها الرسول ﷺ لعمرو بن الجموح .

ثم رفع عمرو بن الجموح يده إلى السماء وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً . فالخيبة أن يعود إلى أهله سالماً ، والغاية والأمنية والمطلب والفوز أن يموت في سبيل الله ، فما الذي حصل في عقل وقلب وجوارح عمرو بن الجموح رضي الله عنه ؟ إنه الشوق إلى الجنة ونعيمها ، فخرج عمر بن الجموح وقتل يوم أحد . . . فقال رسول الله : «لكأني أرى عمر بن الجموح قد وطأ الجنة بعرجته» .

حينما يدخل أهل الجنة الجنة ، يقول النبي ﷺ : «يُنَادِي مُنَادٍ -يعني في أهل الجنة- : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا

تَسْقَمُوا أبَدًا ، وَإِنَّ لَكَمْ أنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أبَدًا ، وَإِنَّ لَكَمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا» ، يعني أن حياة الجنة حياة بلا موت وصحة بلا مرض وشباب بلا هرم وسعادة بلا حزن ، كل مشاكل الدنيا ستحل وتنتهي عن أبواب الجنة .

يوجد على وجه هذه البسيطة أبنية فخمة وقصور مشيدة ومساكن وغرف . . . لكنها مهما علا قدرها وجمالها ومهما تطاول بنيانها وعلوها . . . لا تشبه ما في الجنة من مساكن وبنايات إلا في الاسم فقط ، ففي الجنة من سحر المساكن وجمال القصور وتعالي الغرف وتلألؤ الخيام ما تقر به العين وتسكن إليه النفس ، سئل النبي ﷺ عن بناء الجنة فقال : عن أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في (صحيح الترمذي) أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «الْجَنَّةُ بِنَاؤُهَا لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ لاَ يَمُوتُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ»

وفي الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «إن في الجنة لسوقًا ، يأتونها كل جُمعة ،

فتَهُبُّ ريحُ الشمال فتحثُو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنًا وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً ، فيقولون : وأنتم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً» .

وفي الجنة صنفان من النساء : وهم الحُور العين ومؤمنات الدنيا ، الصنف الأول : النساء المؤمنات : قال تعالى في وصفهن : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ .

قال ابن عباس : يخلقهن الله غير خلقهن الأول ، ويُصبِحن أبكارًا ، ويكنَّ في عنفوان الشباب في سن الثلاث والثلاثين ، أما الصنف الثاني : الحُور العين : قد أتى وصفُهن في القرآن في أكثر من موضع ، منها : قال تعالى : ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ . والحُور : جمع حَوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء ، الجميلة ، البيضاء ، شديدة سواد العين ومعنى عِين ؛ أي : حسناء الأعين .

وعن جابر بن عبد الله ، قال : سئل رسول الله - ﷺ - : أيأكلُ أهلُ الجنة؟ قال : «نعم ، ويشربون ، ولا يَبُولُون فيها ،

ولا يتغوَّطون ، ولا يتنخَّمون ، إنما يكون ذلك جُشَاءَ ورشحًا كرشحِ المسك ، ويُلهَمُون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النَّفَس» .

إن الحديث عن الجنة ، وصفتها ، وما فيها من النعيم المقيم الذي لا ينفد من غِلْمَان أهل الجنة ولباس أهل الجنة وأنهار الجنة وشراب الجنة وطعام الجنة الدائم ومساكن أهل الجنة ، فإن سألت : عن أرضها وتربتها ، فهي المسك والزعفران . وإن سألت : عن سقفها ، فهو عرش الرحمن . وإن سألت : عن بلاطها ، فهو المسك الأذفر . وإن سألت : عن حصبائها ، فهو اللؤلؤ والجوهر . وإن سألت : عن بنائها ، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب ، لا من الحطب والخشب ، لتشتاق إليه النفوس ، ويزيد به الإيمان ، ويحلو به الكلام ، وتطمئن به القلوب ؛ لأن النفس تميلُ إلى معرفة الثمار التي من أجلها ترك الإنسان المحرَّمات وترك المكروهات ؛ كما في الحديث : «حفِّت الجنة بالمكاره ، وحفِّت النار بالشهوات» ؛ إذ الواجب على الإنسان العاقل الذي يعلم أين السعادة أن يعبد الله ؛ رجاءً في الجنة ، وخوفًا من النار .

وإن أجـمـل مـا في الجنة يوم ينادي المنادي : «يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيّى على زيارته ، فيقولون سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم ، فيستوون على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً ، وجـمـعـوا هناك ، فلم يغادر الداعي منهم أحداً ، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك ، ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجـد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضـة ، وجلس أدناهم - وحـاشـاهم أن يكون بينهم دنِئ - على كثبان المسك ، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادي : يا أهل الجنة سلام عليكم . فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام . فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول : يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون من الله تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، فـهـذا يوم المزيد . فيجتمعون على كلمة واحدة : أن قد رضينا ، فارْضَ عنا ،

فيقول : يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد ، فسلوني فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف الرب جل جلاله الحجب ، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة ، حتى إنه يقول : يا فلان ، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ، يذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه» .

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة ، إلى ربّها ناظرة ، وَوُجوهٌ يومئذٍ باسرة ، تظنُّ أن يُفعل بها فاقرة﴾ .

«في الجَنة لنّ نبكِي ، وفي الجنة لن نحزن ، وفي الجَنة لن نغار ، وفي الجنّة لا حِقد وفي الجنّة لا شوق وفي الجنةِ لا انتظار ، وفي الجَنة ما لا عين رأت ولا أذن سَمِعت ولا خطر على قلب بشر .

إنّها الحب الذي بخلت به الدنيا ،

و الفرح الذي لا تتسع له الأرض ،

إنها الوجوه التي أشتاق لها ،

و الوجوه التي حرمت منها . .

إنها نهايات الحدود ، وبدايات إشراقة الوعود ،

إنها إستقبال الفرح و وداع المعاناة و الحرمان !

«اللهم ارزقنا الفردوس الأعلى من الجنة بدون حساب ولا عذاب آمين يا رب العالمين» .

اجعلوا هذا الدعاء على لسانكم ليل نهار ، وكما قال السلف رحمهم الله تعالى ، إذا أراد الله تعالى لك خيراً فإنه يُلهمك الدعاء الدائم لذلك الأمر . . . لأنه لو لم يُرد لك ذلك الأمر لصرفك عن طلبه كما صرف غيرك عنه . . . لكنه جعلك تدعوا بذلك الدعاء لأنه يُريد أن يُحقق لك تلك المنزلة ، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«إني لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه» .

وتأمّلوا هذا الكلام العجيب للتابعي عطاء ابن أبي رباح رحمه الله تعالى يقول :

«متى أطلق الله لسانك بالدعاء فاعلم أنه يريد أن يُعطيك ماتشاء مهما عظُم مُرادك وعظُم مطلبك» .

فإذا كنت تسأل الله تعالى دائماً الفردوس الأعلى من الجنة ، فأعلم أن الله تعالى يُريد أن يُدخلك إياها وإلا لصرفك عن ذلك الدعاء كما صرف غيرك عنه .

اللهم ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وجنبنا النار وما قرب إليها من قول وعمل .»

أسال الله ان يجمعني وإياكم في أعلى جنان الخلد ، ويكرمني وإياكم في رؤية وجهه تبارك وتعالى ، تقول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر من قول اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم .

المصادر

- تفسير القرطبي .
- تفسير ابن كثير .
- تفسير الطبري .
- سير واعلام النبلاء للذهبي .
- الكامل في التاريخ لابن اثير .
- البداية والنهاية لابن كثير .
- السيرة النبوية لابن هشام .
- صحيح مسلم .
- صحيح البخاري .
- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح لابن الجزري .
- القاضي شريح نسبه وحياته وسيرته .
- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي .
- موقع قصة الاسلام د . راغب سرجاني .
- موقع نابلسيات لمحمد راتب النابلسي .

F A H A D   A L - E I D

فهد العيد

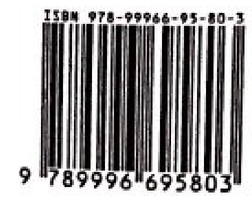
ألم نشرح لك صدرك

المسألة لم تتعلق يوماً بالأسبق، وإنما بالأصدق..

وهذا كتاب يعرضُ حياة رجال جمعوا المجدين معًا: الأسبق والأصدق، ولكن هذا الدين يفتح ذراعيه في كل عصر، وينادي على الناس في كل مكان أن هلمُّوا إليَّ.

هناك دومًا متسع مهما اكتظت الصفوف، وهناك فرصة للحاق بالقافلة وإن كانت بدأت مسيرها منذ أربعة عشرة قرناً.

ثم من يدري، فلعلَّ الفتن قد فشتْ في عصركَ، لتنال أجرَ الثبات!


ISBN 978-99966-95-80-3



www.darkalemat.com